الصراع العربي في الكويت :

فرض الأفكار قسراً

وقفات صحفية كتبها

علي بن إبراهيم النملة

عضو مجلس الشورى

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

فرض الأفكار قسراً

وقفات صحفية كتبها:

علي بن ابراهيم النملة

مكتبة العبيكان

٩٥٣,٨٠٩	النملة، علي بن إبراهيم
٤٢٧ ن	الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً/ علي بن إبراهيم النملة. ـ ط ١. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
	... ص؛ سم
	ردمك ٦ ـ ٠٢٥ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠
	١ ـ حرب الخليج ١٩٩١م ٢ ـ الكويت ـ تاريخ ـ الاحتلال العراقي أ ـ العنوان

ردمك: ٦ ـ ٠٢٥ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤/٠٦٥٥

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

الناشر
مكتبة العبيكان
الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــــداء:

إلى جميع الذين هزّهم الحدث العربي في الكويت،
إلى كلِّ حليم تحيّر، أقدّم هذه الوقفات التي كانت وليدة الحدث، وعبّرت عن موقف.

المدخل:

الحمد لله والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع سنته وسار على هديه إلى يوم الدين، وبعد

فهذه مجموعة من الوقفات مع الأزمة التي حلّت بمنطقة الخليج العربية، وبالعرب، وبالمسلمين، وبالعالم بدءاً بسنة ١٤١١هـ، النصف الثاني من سنة ١٩٩٠م، وغيّرت كثيراً من المواقف، وأثّرت في الأذهان والعقول والعواطف والنفسيات، ودعت إلى إعادة ترتيب الأوراق.

وعندما دخلت القوات العراقية الأراضي الكويتية، وأحدثت فيها ما أحدثت اشتغل عامل آخر في الأزمة كان له أثره الواضح في تسيير الأزمة؛ إذ لم تكن المشكلة عسكرية فحسب، بل عمل الإعلام عمله في تبيان الحال، فكانت هناك مبالغات، وكانت هناك حقائق، واختلطت الحقائق بالمبالغات، وانشغل الناس، وانطلت عليهم المبالغات أكثر من قبولهم الحقائق. وأظن أن الناس، معظم الناس، لم يكونوا على اقتدار على أن يقيسوا الأخبار ويسلطوها على معيار الحقيقة أو المبالغة، فلعب الإعلام لعبته، وأضحى كلّ يغني على ليلاه.

وأظن أن أزمة الخليج الثانية المتمثلة في زحف القوات العراقية على الكويت ليلة الخميس ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م تعدُّ حجر الزاوية التي كانت سبباً في معظم التطورات التي حلّت بالمنطقة، وبالعالم العربي والإسلامي، بل إني أزعم أن ذيولها قد امتدّت إلى العالم كلّه. وقد تولَّدت عن هذه الأزمة الكبيرة حجماً أزماتٌ صغيرة، ولكنها قد

تكون أشدَّ تأثيراً على المجتمع العربي والإسلامي والدولي، مع تعمُّد تكرار هذه المجتمعات الثلاثة.

وقد أصيب النـاس في نفسياتهم، وأصيب النـاس في انتمـاءاتهم، وأصيب الناس في مجتمعـاتهم، وأصيب الناس في معتقداتهم التي كـانوا يدنـدنون حولها كـالعروبة والقـومية والبعث والوحدة، وغيـرها من «المُثل» التي بدا أنها لم تنل نصيباً من الـواقع مثل نصيبها من الشعارات التي كانت تدغدغ العـواطف وتعين على أن يظل الناس سادرين في أحـلام لمَّا يتنبهوا منها.

ومهما تكن الملابسات، ومهما تكن الدوافع، ومهما تكن النتائج، فإن الأزمة قد تـركت بصماتها واضحة على الجميع، ودعت ـ كمـا ذكرت ـ إلى إعادة ترتيب الأوراق، وإلى إعادة تـرتيب البيت العربي، وإلى إعادة تقويم مواقف الجيران، الجار ذي القربى والجار الجنب.

ويطيب لي هنـا أن أجمع هـذه الإسهـامات التـي كتبتها أثنـاء الأزمـة، وبعدهـا بقليل؛ لأني بجمعي إياها أزعم أنها تكشف شيئـاً من الحال التي كنا عليهـا في ذلك الوقت. ومع رغبتي في إعادة صياغتهـا إلا أني آثرت أن أضعها كمـا هي بين يدي القارئ، رغم أني أظن أن بعضاً ممـا ورد فيها من أفكار كان وليد العـاطفة والحيرة التي انتابتنا حالما سمعنـا باجتياح القوات العراقية أرض الكويت. والحال تتغيّر، وتتغيّر معها المواقف، وتظهر أفهام جديدة، إلا أني فضلت الثبات على المبـدأ، أو المنظور الذي عالجت فيه أو من خلاله الأزمة. وأرجو أنه مبدأ لا يتغيّر ولا يتبدّل.

ومنذ انتهـاء الأزمة إلى الـوقت الذي جمعت فيـه هذه الـوقفات حصلت تطوُّرات غير بـارزة على السطح، ولكنها ذات علاقة مباشـرة بالمواقف من

الأزمة. ولذا فإن بعض هذه الوقفات قد لا تخدم ما بعد الأزمة، ولم يرد لها أن تخدم ما بعد الأزمة، بل الأمل أن تسهم في خدمة المرحلة التي عاشتها الكويت محتلَّة، وما صاحبها من تطوُّرات سريعة أظهرت للناس جليًّا شيئاً من اللعبة الدولية التي تأكدت تماماً من خلال المواقف من الأزمات التي حلّت بعد أزمة الكويت، كما هي الحال في البوسنة والهرسك والصومال.

ومهما يكن من أمر فإنني أقدّمُ هذه الوقفات مجموعة إلى القارئ الكريم رغم ما طغى عليها من تغليب للعاطفة والسطحية في معظمها، ورغم أني أُصرُّ على أنها تعبِّر عن مرحلة نحن الآن نتخطّاها من حيث التفكير والقدرة على فهم الأمور، وبدا فيها هول المصيبة التي حلّت بنا جميعاً في تلكم الفترة. وإني أجزم أن ما ورد فيها من آراء وأفكار ليس موضع اتفاق أو قبول من الجميع، وكلٌّ يؤخذ من كلامه ويُردُّ إلا المعصوم محمداً عليه الصلاة والسلام. وأستحضر هنا العبارة التي تُؤْثر عن العماد الأصفهاني من قوله: «ما رأيت أحداً كتب كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر». هذا إن ثبتت هذه عن العماد.

ولأن ما ورد في ثنايا هذه الوقفات لن يكون موضع اتفاق أو قبول من الجميع، بعد أن تبيّنت أمور وتتبيّن أمور أخرى لم تتبيّن من قبل، فإن هذه الوقفات تظل تعبّر عن ذاتية صاحبها، وما استطاع أن يعبّر به من موقف تجاه الأزمة وما صاحبها من أحداث.

وأود هنا أن أقدّم شكري الجزيل للصحف والمجلات التي رحبت بهذه الإسهامات، وعلى رأسها صحيفة الجزيرة السعودية التي يعود لها ولرئيس

التحرير فيها الأستاذ محمد بن ناصر بن عبّاس الذي كان له الأثر في استقامة القلم، إن يكن القلم قد استقام، فهو أول من فتح لي صفحات الجزيرة بشكل منتظم. ثم يأتي زملاؤه في المهنة من رؤساء تحرير الصحف والمجلات الأخرى كاليمامة والدعوة والجيل والبلاد والمسلمون، وغيرها مما فات ذكرها.

وأرجو أن يكون في هذه الوقفات فائدة في النظر إلى موقف من المواقف التي وقفناها من الأزمة التي حلّت بنا جميعاً. وإن يكن لها من فائدة فإنها قد كانت الوسيلة التي نفّس بها صاحبها عن الحيرة التي انتابته في تلكم الفترة. لا حارت لنا ولكم عقول ولا أذهان، وكان الله في عون الجميع.

د/علي بن إبراهيم النملة

الرياض في ١/ ١/ ١٤١٥هـ

فلا الكويت عراق .. ولا العراق كويت ..!!

مهمـا سارعت القـوات العراقيـة الرابضـة على أرض الكويت في تغييـر معالم الكويت، وسعت إلى إعطائها الطـابع العراقي الحالي الذي جثمت عليـه تماثيل الـرئيس في كل مكـان عام وخـاص، ومهمـا غُيِّرت الكـويت اسماً، وغيِّرت أسماء الشوارع والميادين والمؤسسات والهيئات، بل المدن والضـواحي، ومهمـا حـاول الـرئيس في العـراق طمس معـالم الكـويت، فستظل الكويت كويتاً، وسيظل الكـويتيون كويتيين، وستظل بوادر العودة إلى الكويت تسيطر على كل ذهن وبـال، ليس على مستوى أهل الكويت فحسب، ولكن على المستوى العربي الـواعي، وعلى المستوى الإسلامي المطلع، وعلى المستوى العـالمي الذي يهمه استقرار الكـويت، واستقرار المنطقة الذي يؤدي إلى استقرار دولي عندما يطمئن العالم أن هذه المنطقة خالية من القلاقل التي تؤثر على سير الحياة الدولية سيراً سليماً آمناً.

وأراد الله لهذه المنطقة أن تـؤثر اليوم في العالم، وجعل بين يـدي أبنائها مقوماً من مقومات الحياة الحـاضرة. وهذا المقوّم يحتاج إلى استقرار وأمن مستمرين؛ لأن هذا المقوِّم الحيوي قابـل «للاشتعال» في أية لحظة، فكان على أبنـاء المنطقـة أن يجنِّبـوه مسببـات الاشتعـال بـالاستقـرار والأمن في الداخل والخارج. وما توقع الأبناء وما توقَّع غيرهم أن يسعى إلى إشعال هذا المقوم الحيوي من يملك قسطاً غير يسير منه. فيستغله في هدم ذاته وهدم الآخرين من حوله بدلاً من أن يستفيد منـه في بناء العراق وأبناء العراق وأبناء ضيـوف على العراق وأبنـاء المنطقة المحيطـة بالعـراق وأبناء ضيـوف على المنطقة المحيطة بالعراق.

إن خير الذهب الأسود ـ أيها القـارئ والقارئة الكرام ـ ليس مقصوراً على البلاد التي نبع فيهـا . لـم يكن مقصوراً عليهم ، ولن يكـون مقصوراً عليهـم . وطبيعـة الإفـادة من هـذه الثروة «الطبيعيـة» تحتم الإفـادة منهـا من أطـراف متعددة . وتلكم حكمة من الله تعالى تستحق التأمل والتفكير.

وخير هذا الذهب الأسود ـ أيها الإخوة والأخوات الكرام ـ لم يكن مقصوراً على أولئكم العاملين في منطقة الذهب الأسود من أبنائها وضيوفها . والحق أن المستفيد خارج المنطقة أكثر عدداً من المستفيد داخلها وعلينا أن ندرك هذا ونقدِّره من نواحيه المختلفة .

قد تكون الإفادة واضحة جدًّا عندما ننظر إلى تحويلات ضيوف المنطقة العامليـن فيها إلى أهليهم في بـلادهم التي تعدَّدت . وهـذه ناحيـة أفادت منهـا أمم وقـامت عليهـا أسـر، وتعلَّم الأبنـاء ، وسكن الأهل فـي بيـوت محتشمة ، وأثـر هذا على الشارع الآخـر ، وانتعش الاقتصاد بقـدر ما زادت التحويلات من منطقة الخير.

وناحية أخرى مهمة أكثر من الناحية الأولى المتعلقة بالتحويلات ، وهذه ذات صلة باليد العليا التي امتدت من منطقة الخير فأسهمت في مشروعات عمـرانية وتـربويـة وصحيـة وثقافيـة . فأقـامت السدود والطـرق والمعاهـد والجامعات والمستـوصفات والمستشفيات والمساجـد ، بل والمتنزهات . ثم المشروعات الإسهامية في البلاد الأخرى يعمل بها أهل البلاد في بلادهم فيمتد الخير للفرد والحكومة .

وناحية ثالثة هي بالدرجة السابقة من الأهمية وهي قيام بعض الحكومات على خير هـذه المنطقة دون الإعلان والـدعاية التي تـوحي بشيء من المنة على هذه الحكومات .

وناحية رابعة مشتقة من الثانية فيما يتعلق بالمشروعات العلمية والتربوية والصحية والثقافية وهي ثنائية الفائدة أحادية الموقع. ففي بعض البلاد التي أقيمت فيها المعاهد والمدارس والجامعات والمستوصفات والمستشفيات والمساجد وحلقات العلم لم تستطع هذه البلاد المستفيدة من هذه المشروعات تموينها بالطاقة البشرية المؤهلة المدبَّرة الخبيرة فجاءت الثنائية هنا عندما استعانت منطقة الخير بمنطقة ثالثة فيها هذه الطاقات البشرية فتعاقدت معها وأرسلتها إلى المنطقة المستفيدة تعمل بها على حساب منطقة الخير في وقت قد لا يدرك فيه المستفيدون أن هذه الطاقة البشرية مموَّلة من قِبَل الخير. ولا يدرك هذا إلا المطلعون؛ لأن بلاد الخير - مرة أخرى ـــ لا تعمد إلى الدعاية لهذه الأيادي البيضاء، ولعلها تشعر أن هذا من قبيل شكر النعمة التي أنعمها الله عليها.

وقد يقال إن هذا أسلوب متبع من قبل بعض الدول الغنية على شكل قروض ذات فوائد تراكمية أو مساعدات هي جزء من ميزانيات هذه الدول الغنية. وهنا ينبغي التركيز على الدوافع والأهداف. والواضح أن دوافع بلاد الخير ـــ منطقة الخليج العربية ـــ دوافع منطلقها المسؤولية وحسن العلاقة مع الناس. والتفصيل في هذا قد يقود إلى التعريض من بعيد، ولكننا نربأ أن نعرِّض بأحد، ولكن يكفي للتذكر أن المشروعات القائمة في البلاد الأخرى لم تكن للتأثر بالتقلُّبات التي تحصل في البلاد الأخرى إلا أن تؤثر هذه التقلبات نفسها على المشروعات.

والكويت التي ترفض طبيعتها هذه وطبيعتها في شعبها وحكومتها ومؤسساتها، ترفض أن تنصهر في ظل حكم استغل كل موارد الخير؛ ليحقق أهدافاً سياسية فكرية جاءت أول ما جاءت على حساب الشعب

الذي نبعت في أرضه الخيرات. وتلكم قضيــة مهمة ميزت منطقة الخير عن الأسـاليب التي لا يـراد بها وجـه الله والـدار الآخرة، وهـي أن منطقة الخيـر بـدأت بمن تعول، وطبقـت مبدأ «الأقـربـون أولى بالمعـروف» ثم امتـدت خيراتها إلى الأقـرب فالأقرب، حتى عم الخير أرجـاء المعمورة، ليأتي من ينغص على المنطقة هذا الخيـر العام العميم ممن تسوّل له نفسـه ويزيّن له الشيطان سوء عمله، رغبة منه أو من الشيـاطين من حوله في أن يستأثر ـ أو يستأثروا ـ بكل هذا الخير ويمنعوه عمن لهم فيه حق مشروع.

إن الكويت قد رفضت هذا كما يـرفض الجسم أي دخيل عليه لا تناسبه طبيعته، ولا يقبله تركيبه هذا مع حسن في النيـة، فما بالكم إذا كانت النوايا سيئة. ولأن الكويت بكل مـا فيها ومن فيها ترفض هذا الانصهـار فلا يتوقع في يوم من الأيام أن تكون عراقاً بالطريقة التي تدار بها العراق. ولا يتوقع في يوم من الأيام أن تكون العـراق بالطريقة التي تدار بها العراق كويتـاً بالطريقة التي تدار بهـا الكويت. فـالكويت والعـراق تسيران، ولكنهمـا تسيران في اتجـاهين مختلفين تمـاماً؛ لأن الكـويت تسيـر إلى الأمـام، تطرق أبـواب الحضـارة، فتفتح لها الحضـارة ذراعيها فتفـوق ــ في حبها للحضـارة وفي حب الحضـارة لها ــ أولئكم الـذين تشبثـوا بالحضـارة على سبيل الادعـاء والسطحيـة. ولأن العـراق ـ مع الأسف قطعـاً ـ تطرق أبواب التخلف فيأبى التخلف أن يفتح أبـوابه لهـا، ولكن العـراق تُحكم بمن يصرون على طـرق أبـواب التخلف فيزداد التخلف إبـاء، فيعمد الحـاكمون في العـراق إلى أن «يخلعـوا» أبواب التخلف المحصـورة أمامهم، فيـدخلوا وكأنهم يحققـون نصراً عندما يذلون المواطن ويجعلونـه غريباً في بلده، يحس بالخير فيها، ولكنـه لا ينـال منـه نصيبهـا. يُصـرُّ الحكم في العـراق على الـدخـول في الحروب، وهذا شكل من أشكال طرق أبواب التخلف.

ويصر الحكم في العراق على فرض نظام سياسي واقتصادي واجتماعي على الأمـــة في العـــراق، وهـــم لا يتـلاءمـــون مـع هـــذه النظم، فيحصل الانفصام، وهذا شكل من أشكال طرق أبواب التخلف.

ويفرض الحكـم على العراق أشخـاصاً لم يكـونوا يـوماً يقصـدون البناء وتطوير الإنسان في العراق ـ وفي غيـر العراق ـ وهذا شكل من أشكال طرق أبواب التخلف. وليس هـذا من باب الشماتة أو التشنيع بـالآخرين. فنحن ننتمي إلى الناس في العـراق، والناس في العـراق ينتمون إليها مهمـا كانت الوجهـة التي تسيطر علـى العراق. ونقول هـذا لنؤكـد على أننا نأسـف لما يـواجهه العـراقيـون من محنة يتطلعـون هم قبل غيـرهم إلى الخلوص منهـا وبوقت سريع؛ لتعـود للعراق والعراقيين مكانتهم في الخريطـة، ويواصلوا مسيرتهم في التنمية والتطور الذي تعطل لسنين طـويلة، فقدنا معها الإنتاج العراقي الـزراعي والصناعي والصحـي والثقافي والعلمي. وتعـود المعدَّات الـزراعية المصنـوعـة في العراق أمثـال الجـرافات والحـراثـات والذرايـات ومعـدات الري التي عـرفنـا عنهـا من قديم بأسمـائهـا العـربية مثل «عنتـر» و«صلاح الـدين» وكنا نراهـا في وكالات بيع المعدات الـزراعية قبل سنين ـ مع الأسف ـ طويلة.

والعراق مؤهلة بشعبها إلى أن تكـون مثل الكويت ـ وبقية دول المنطقة ـ لا أن تكـون الكويت. وذلك إذا مـا رزقت بقيـادة تنبذ الأفكـار الدخليـة، وتحكم الناس بمـا يريدون، وتسعى إلى المصلحـة العامة غيـر المحدودة على فئـة أو تـوجُّـه. ولا إخالنـا نملك أن نخطط لـلآخـرين إذا أدركنـا أن الآخـرين عندهـم من الكفـاءات والطاقـة والخبرات المهـاجرة والبـاقية مـا يغنيهم عن الاستعانـة بغيرهم إلا في الحدود التي يرونهـا هم. وهذا شأنهم ونطلب لهم من الله التوفيق. وكان الله في عون الجميع.

«عَدُّول» لم يذهب إلى المدرسة

عادل محمد تلميـذ صغير في السنة الرابعة الابتدائيـة في إحدى مدارس الكـويت . وكـانت المـدارس في إجازة الصيـف عندمـا احتلت العـراق الكويت. وكان عادل قد عمل ترتيباته على أن يكون مستعدًّا للعام الدراسي الجديـد في سنته الجديدة. وكـان خارج البلاد في زيـارة صيف لعسير في المملكة العـربية السعوديـة مع عائلته. وكان يـدرك أن هناك فترة للـزيارة، يعود بعدها للكويت، حيث أصدقاؤه من أبناء الحي وأقاربه في الكويت. وسمع عادل بالاحتـلال ولكنه لم يستوعب الفكرة تمامـاً. لم يسعفه تفكيره إلى أن يتصور أن بلاده ضاعت مـؤقتاً وأن كائنًا غريباً ـ كـان صديقاً ـ يجثم الآن على البلاد ويخرب ويدمر فيهـا كل معالم الحضارة التي يعيشها عادل في حدود ما يحتاج إليه من هذا العالم.

ألحَّ على والديه وأهله بالعودة إلى الكويت، وكان كلما فاتح والدته بأمر العودة انهمرت من عينيها على مقلتيها دمعتـان حارتان. أما جدة عادل فلم تجد جـواباً إلا مـا كان من رفع يديهـا الطاهـرتين في كل لحظة تـدعو على الظـالم، وتـدعـو بسـرعـة حلـول الفـــرج على أهل الكـويت وعلى أرض الكويت. ووالد عادل أضحى مذهولاً يريد أن يستجمع قواه، ويعيد ترتيب نمط حياتـه لتنسجم مع الوضع الجديـد المؤقت، فالمسؤوليـة عليه ليست سهلة، وخصوصـا أنه ترك أشياء كثيرة في الكويت. وكـان من هذه الأشياء التي تركها هناك وانتبه لها فيمـا بعد أوراق الصغير عادل التي تثبت أنه نجح من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة بتفوق نال عليه شهادة تقدير من مدرسته، وهدية من والده كانت حسب رغبته.

أسقط في يد الوالد حينما أدرك أنه ترك أوراق عادل و إخوته وأخواته ، ودعا الباري ألا يصل الأمر إلى الحاجة إليها . ثم تنبه فيما سمع من أخبار النهب والسلب أن هذه الأوراق قد تكون من ضمن المنهوبات ، وتذكر طبيعة الناهبين فعلم أنهم إذا وقعوا على المستندات والوثائق فسيعملون بها عملتهم المعتادة ، إما بالتمزيق أو بالحرق أو بالمصادرة ، كما صودرت أشياء كثيرة جدًّا من أرض الكويت ، وكأن الغزاة قد قدموا من كوكب آخر لم يعهدوا فيه وسائل الحضارة التي وجدوها في الكويت . وربما أخذ أحدهم هذه الوثائق وأحدث فيها وغيّر بحيث يستفيد منها لأولاده أو إخوته أو أبناء الجيران ! !

قرب وقت الدراسة على عَدُّول ولم يَعُد بعد إلى الكويت ، ودفع الموضوع الأهل لسرعة التصرف . وفي هذه الأثناء كانت الأخبار تتناقل عن ترحيب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية بأبناء الكويت في مدارسها ، فيقبلون في السنوات التي كانوا فيها في الكويت ، وسيكون عامل الثقة هو المصدر الأساسي في معرفة المستوى الدراسي لكل طفل ، حتى في المؤسسات التعليمية التابعة للمملكة العربية السعودية في الخارج مثل أكاديمية الملك فهد في لندن والأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن العاصمة . فأقبل الأطفال والفتيان والفتيات على المدارس ، وانخرطوا مع إخوتهم من أبناء البلاد والمقيمين ، وعاشوا الجو الدراسي الذي كانوا يتطلعون إليه مع شعورهم بالفارق اليسير في البيئة على الأقل ، والبيئة التعليمية فيما يتعلق بفروق طفيفة جدًّا في نظام التعليم ولوائحه مما لا يؤثر تأثيراً مباشراً على تقدم التلميذ وتأقلمه مع نظم التعليم ولوائحه في منطقة الخليج العربية المتشابهة .

وأدرك الوالد هنا ـ وهو ذو خلفية تربوية ـ ضرورة السعي في توحيد المناهج على مستوى مجلس التعاون الخليجي، ليس تحسباً لما قد يحصل لإحدى بلاد الخليج مثلما حصل للكويت، بفعل الغدر والخديعة، ولكن هذا الحدث أبرز ضرورة هذا الهدف سعياً وراء تعميق فكرة التعاون وشمولها لجوانب تربوية وتنظيمية وأحوال شخصية يستطيع معها المواطن الخليجي التنقل بين دول الخليج بشيء من الراحة والانسجام الذي لا يجعله يتردد في الإقامة هنا أو هناك حسبما تمليه عليه ظروف عمله التي قد تتطلب منه الوجود في بلاد خليجية أخرى لفترة غير قصيرة. وعلى أية حال فهذه الفكرة قد راودت الوالد وغيره من الآباء والمواطنين في منطقة الخليج العربية، وإن لم يحتج الأمر إلى أن يحصل للكويت ما حصل حتى تكون هذه الفكرة مدركة، ولكن ما حصل قد عمق هذا الإدراك وجعل المواطن في الخليج مثل أبي عادل يحس بضرورة الإسراع في التحام الأسرة الخليجية ووقوفها يداً واحدة في تحدٍّ قوي أمام الطارئات في هذه المنطقة.

أما «عَدُّول» فقد شعر بأنه بين إخوته وزملائه الذين كان معهم قبل الحادي عشر من محرم الحرام/ الثاني من أغسطس (آب) في مدرسته في كيفان في الكويت. ولكنه مع هذا الشعور لم يخف حنينه إلى حيه ومدينته وبلده وإلى مدرسته ومدرسيه وإلى الحديقة وملاعب الأطفال التي كان يأخذه والده محمد إليها بين الفينة والفينة. ولم يخف قلقه على مصير زملائه في المدرسة الذين كان يتبادل معهم دفاتر الواجبات ويتعاون معهم في التعرف على المراد من الوظائف المنزلية التي يمليها عليهم مدرسوهم، ويشترك معهم في مباريات وألعاب في فناء مدرسته الرحب.

هـذه الأنشطة المستمـرة يجدهـا عادل في وضعـه الحالي المـؤقت في مـدرسة من مـدارس المملكـة العـربية السعـوديـة ، ولـم يشعـر بالفـرق في الإمكانـات والأدوات ، إلا أنه لـم يعرف أن جـزءاً من زملائه الطلبـة من أبناء الكويت الصغار قد ذهبوا ضحيـة هذا الهجوم المفاجئ ، فمنهم من قضت عليـه القوات العـراقية مع من قضـت عليهم من الرجـال والنساء والشيـوخ والصغار، ومنهم من فزع مع أهله يضـرب أطناب الصحراء ، فتاه فيها ، ولـم يتحمل حر الصيف مـع قلة في المؤن فكـان أن وُجد ميتـاً في السيارات أو عند السيارات التي كان يستظل بظلهـا . ولـم يعرف الصغير عادل أن المقعد الذي كـان يجلس عليه في مدرستـه في كيفان قد صودر، وأن اللـوح الذي كان يكتب عليه أستاذه ـــ وربما خط عليه هو خطوطاً جميلـة ـ قد صودر، وأن المعمل الصغيـر التابع للمـدرسة يستخـدمه الأستـاذ المدرس للمـواد العلمية في إجراء تجارب على مستوى عـادل وزملائه قد صودر، ولـم يعرف أن الصحيفـة الحـائطيـة التي أسهم فيهـا بجهـد على مستـواه وعلقت في المـدرسة قـد كسرت ومـزقت أوراقهـا . لـم يعرف عـادل الصغيـر أن غرفـة النشاط الـرياضي بمـا تحويه من أدوات ريـاضية متعـددة قد حملت على دبابة يقودهـا جندي من العراق أراد أن يغنم ولو كرة ولباس ريـاضة ، عندما ضاع النظام واختل بسبب الغزو الظالـم .

لقد حـاول محمد أبو عـادل ألا يطلع عادلاً على تفصيلات مـا حدث ، وحاولـت والدته ألا يبـدو منها شـيء أمامه يـوحي بما حـلَّ بمدرسـة عادل وبيت عادل وبلاد عـادل . ولكن الصغير يدرك أن الأمر غيـر طبيعي ويريد أن يعرف تفصيلاً أكثر، فزملاؤه الجدد يسألـونه ببراءة الأطفال عما حدث له وللكويت ، ويرددون اسم الرئيس العـراقي بشيء من عدم الارتياح والمرارة ،

فيعود عادل إلى البيت ليسأل، ولكن الإجابة دائماً متحفظة وسريعة، ولكنه يلح في السؤال حتى يتبين له بعض ما حدث فلا يستطيع إخفاء عبرات حرّى تكون نتيجتها دموع تتساقط على مقلتي البالغين.

عادل محمد نموذج من النماذج التي خلفها غزو العراق للكويت، وأحدث هذا الشرخ في النفوس قبل أن يحدث الشرخ في البلاد. وسيعلم عادل كثيراً من التفصيلات. سيطلع يوماً ما على مآسٍ، منها قتل ثماني طالبات دفعة واحدة وفي وقت واحد للاشتباه بأن لهن علاقة بالمقاومة، وسيطلع يوماً على نماذج من التعذيب التي تشرف بها أبناء الكويت قبل أن يقضى عليهم أمام منازلهم وبمرأى من أوليائهم/ آبائهم وأمهاتهم، وسيعلم عادل تفصيلات تحويل الكويت إلى «منطقة أشباح»، وسيبحث عن الأسباب وراء هذا كله ومعه أكثر منه، فلن يجد أسباباً يستطيع أن يجد فيها مبرراً واحداً يسمح بعمل جزء يسير من كل ما عمل في الكويت. سيكون عادل من الجيل الذي سينظر إلى الحاكم في العراق ودوافعه ومنطلقاته وأهدافه نظرة حانقة مليئة بالكره والبغض، وعدم القدرة على التجاوز عن الأفعال، وعدم الاقتناع بالعفو حتى عند المقدرة. وسيملي عادل محمد شعوره هذا على أولاده وأحفاده، وربما يطلب من أولاده أن ينقلوا هذا الشعور إلى أحفادهم. فالمصاب الذي حلّ بالكويت ليس مقصوراً على جيل وليس مقصوراً على فترة من عمر جيل، ومن حيث المكان هو ليس مقصوراً على الكويت وحدها.

في الكويت.. لا وقت للتنفس

كنت أريد أن يكون عنوان هذه الوقفة لا وقت للدموع . . ولكن في هذا سطو على عمل كبير سابق . . ولذا أفضل بموجب الحال التي تعيشها الكويت اليوم أن أقول لا وقت للتنفس .

ليس لأن جو الكويت مليء بسحب الدخان الناجمة عن آبار النفط المحترقة ، فهذه مشكلة مؤقتة وتزول ــ بإذن الله ـ وتبقى الكويت لأهل الكويت كما كانت من قبل . . إلا أني هنا أظن الظن الجازم أن الكويت ستكون لأهل الكويت أقوى مما كانت عليه من قبل . . الفترة السابقة التي مرت على أهل الكويت عمقت فيهم حبهم لها وتقديرهم لأن يكون للإنسان وطن ، وتكون له ديرة ، ويكون له ربع . . وكلنا ربع للكويت . . ولأهل الكويت . . قلناها قبل المحنة التي مرت بنا جميعاً ، وأثناء المحنة التي عصفت بنا جميعاً ، وبعد المحنة التي تركت بصماتها علينا جميعاً . . وإنما نعبر بهذا لنستعين به بعد الله على الخروج من المحنة مواصلين مسيرة كنا قد بدأناها على بركة الله .

وفي الكويت اليوم تتواصل المسيرة التي بدأتها الكويت . . ولكن بروح أخرى هي أكثر إصراراً من ذي قبل . . وأكثر مواجهة من ذي قبل . . فالكويت واجهت تحدياً أراد القضاء عليها من قواعدها . . واستمر هذا التحدي سبعة أشهر وتزيد ، فلا تزال آثاره قائمة . . ولذا فنحن ـ جميع أبناء المنطقة ــ نعرف كيف نواجه التحدي . . ونعرف كيف نتعامل مع التحدي . . ونعرف كيف ندحر التحدي ، على خلاف ما كان يعتقده فينا البعض من الاستكانة للترف .

والواقع الميداني سطر صوراً حية من وقوفنا أمام التحدي على المستوى المواجه، وعلى مستوى الجبهة الداخلية على حدٍّ سواء. . نماذج تبعث على الفخر والاعتزاز من شباب الخليج الذين واجهوا التحدي ووقفوا له وقفة الرجال، داعمين في هذه الوقفة قياداتهم، مدعومين فيها من قياداتهم. . وكان التوقع الخاطئ أن هذا الدعم المتبادل والتلقائي قد يتزعزع في يوم ما من أيام الأزمة فيفوز الظالم بما يريد، فما كان له ذلك. . والحمد لله رب العالمين. .

وفي مواجهة هذا التحدي نجد الكويت اليوم لا تتوقف لمجرد التنفس؛ فلا وقت عند أهل الكويت للتوقف. . ومهما يكون الهدم سهلاً والتعمير على النقيض فإنك تلحظ التصميم على التعمير وسرعة الشروع فيه، ليبقى النظر إلى نقطة النهاية نظراً مأمولاً دون عجلة ما دامت العجلة تسير.

وأظن ظن الجازمين أن الكويت ستكون أفضل مما كانت عليه قبل الغزو ليس في الشكل الخارجي فحسب، وإنما في النظرة إليها من أهلها وجيرانها الذين كانت لهم تلكم الوقفات الإيجابية معها. . وكان الشعب السعودي ولا يزال يكرر في المناسبات الرسمية والخاصة أنه سيعود مع أهل الكويت يشارك في إعادة البناء. . ونحن نرى اليوم نواة هذا الوعد تتحقق. . حينما تسهم الشركات السعودية في إعادة بناء الكويت. . وحينما نرى القيادة تبارك جميع الجهود الرامية إلى إعادة بناء الكويت. . وليس هذا على أولئك بغريب؛ فهم الأشقاء في الشدة، كما هم الأشقاء في الرخاء. . وما كنا نحتاج إلى هذه الشدائد لنثبت لغيرنا أننا بهذا المستوى. . ولكنها إرادة الله تعالى التي استطعنا التعامل معها بالإيمان بقضاء الله وقدره الذي نحمله في صدورنا، وبالعمل الجاد في اعتبار القضية قضيتنا جميعاً، وليس قضية إخوتنا في الكويت وحدهم.

ومهما تمر بالأمة من عواصف ونكبات إلا أنها تترك آثاراً إيجابية على الأمة . . وقد لا تكون الآثار الإيجابية بحجم الأخرى السلبية على المدى القريب . . ولكنني أظن أن الآثار الإيجابية أطول بقاءً، وأكثر تأثيراً على الأمة من الآثار السلبية . . فالسلبية كالجرح يعالج فيندمل ـ بإذن الله ـ مهما كان الجرح عميقاً . . والإيجابية منبهات توقظ الناس كلما كان هناك إحساس بالغفلة عن الحدث فتزيد في الإصرار على ترسيخ المفهومات التي تعين على وحدة الأمة وتماسكها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . . كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد كله بالسهر والحمى . . ولقد كنا في محنة الكويت جسداً واحداً، والكويت عضو من هذا الجسد فتداعى الجسد كله بالسهر والحمى . . ونحتاج إلى أن نؤكد أن احتلال الكويت غاية تبرر الحصول على الأرض أو التوسع الأفقي بقدر ما كانت الغاية إنهاك الجسد الواحد عضواً عضواً حتى ينسلخ المفهوم الذي قام عليه هذا الجسد، فيحل مكانه مفهومات متقطعة لا تكون في مجموعها عضواً واحداً من جسد متكامل .

إذاً نحن نواجه التحدي ليس في الكويت فحسب، بل في الجسد كله . . أي في المنطقة كلها . . وأدوات التحدي قد تأتي من أي جهة . . وقد جاءت هذه المرة من العراق . . وندعو الله ألا تأتينا من أي جهة أخرى . . فتلكم من الإيجابيات الطويلة المدى التي تركتها هذه المحنة على المنطقة، حينما يمتد الإصرار إلى الوقوف في وجه أي محاولة للنيل من أمتنا واستقرارنا وسيادتنا . . ومن ثم من المفهومات التي يقام عليها أمننا واستقرارنا، وقامت عليها ودعت إليها سيادتنا .

وبما أننا جميعاً نواجه هذا التحدي ونقف له فإننا جميعاً اليوم نقف مع إخواننا في الكويت . . ونبني الكويت ونعيد لها عزها الذي كانت عليه والذي سيزداد بعد الخروج من هذه المحنة . . ولا إخالنا بحاجة إلا إلى أن نكرر موقفنا هذا؛ فالإخوة هناك قد أدركوه ويدركونه . . وستبدي لنا الأيام آثار هذا الإدراك الذي سينعكس ولاشك على مسيرتنا التي نشقها جميعاً في قالب واحد التقينا فيه على الخطوط العريضة للتوجه، وتركنا بعض الفرعيات لظروف كل بيئة محلية مما يكون في النهاية مدعاة إلى التوفيق والنجاح ـ بإذن الله تعالى ـ.

والعالم اليوم كله يرقب الكويت وتجربة الكويت في العودة إلى الحياة الطبيعية التي حق لكل إنسان أن يحياها بعيداً عن منغصات البشر الذين استسلموا للوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس. فالدعاء لأهل الكويت بالعون والدعاء للجميع بذلك.

في الكويت .. العيد عيدان .. !!

لا ينظر في الكويت إلى عيد الفطر المبارك على أنه عيد كالأعياد التي سبقته، بل العيد هذا العام للكويتيين في الداخل والخارج عيدان، ومع أننا في حياتنا الإسلامية لا نعرف إلا عيدين/ الفطر المبارك والأضحى فإنه حق للكويتيين أن يعدوا هذا العيد ليس ككل الأعياد.

فهو عيد تختلط فيه العواطف . . فمن ناحية عادت الكويت إلى أهلها وإلى سيادتها . . ويتطلع بقية الكويتيين إلى العودة إليها . . يعودون إلى المنزل الأول، والحنين أبداً للمنزل الأول . . وهم سيعودون بعد العيد، كما أعلن، وبعد أن يتأكد الناس هناك أن الوقت قد حان للعودة الحميدة.

ومن ناحية أخرى يمر العيد على الكويتيين وهم يتنفسون الصعداء من جراء محنة أصابتهم، فخرجوا منها وهم يضمرون في أنفسهم أحاسيس ومشاعر تحتاج إلى وقت طويل حتى تعود إلى حالتها الأولى، ومن الناحية المادية تراهم سيعودون إلى بيوتهم لتكون في مجملها غير البيوت التي كانوا فيها قبل الخروج، سيعودون إلى الكويت التي هي في مجملها غير الكويت التي تركوها صيف العام الماضي . . الكويت التي سيعودون إليها مليئة بآلات البناء والتعمير والإطفاء . . هي خلية حية من العمل الدؤوب الذي عم الكويت ولم يترك مكاناً إلا وله فيه أثر . والكويت مصممة على العودة إلى أفضل مما كانت عليه قبل المحنة التي حلت بها.

وإن حب الديار يشغف القلوب خلافاً لمن قال إن من يسكن الديار هو الذي شغف قلبه. وقلنا نحن العرب.

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة   وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

والكويت لم تكن يوماً جائرة على أهلها، ولم تكن جائرة على غير أهلها ممن أشعرتهم بأنهم من أهلها.

الكويت تستقبل عيد الفطر المبارك لهذا العام ١٤١١ هـ دون إجازة عيد فلا وقت للإجازات. والكويت تحتفل بعيد الفطر المبارك لهذا العام بطريقة لم تكن تحتفل بها من قبل بعيد مضى.

وإذا كانت الفرحة بالعيد في الكويت فرحة ممزوجة بالحزن فإن الوضع يدعو إلى هذا الشعور. وكان الكتاب ولا يزالون يكتبون عن العيد بهذا الشعور حينما يتذكرون أن هناك شعوباً مسلمة لا تحتفل بالعيد البتة، إلا بالطريقة التي تذكرها بأنها يمكن أن تحتفل به بحق في مستقبل الأيام، فلا يأس من روح الله.. ويردد عادة هؤلاء الكاتبون بيت المتنبي الرائع في هذه المناسبات رغم أن مناسبته لم تكن رائعة، حتى مللنا ترديد البيت المشهور.

ولا أستغرب أكثر حينما أستغرب إلا عندما أحس أن هناك من يريد هذا الشعور للكويتيين ولمن هم حول الكويتيين، وكأنهم جميعاً قد غفلوا عن بعض القضايا التي اتبع هذا الأسلوب لتذكيرهم بها.. فما نسي الكويتيون ومن حولهم قضايا الأمة، بل إن من تذكر قضايا الأمة أكثرهم الكويتيون ومن هم حول الكويتيين.. والذين أرادوا هذا الشعور يدركون أنهم عمليًّا من أقل الفئات اهتماماً بقضايا الأمة.. والخوض في هذا كثيراً تحصيل حاصل وتكرار غير مقبول.

والأمة بحاجة ملحة اليوم - أكثر من ذي قبل - إلى من يعين على توحيد الشمل وتكثيف نقاط اللقاء وتقليص مسببات التفرق.. وليست بأية حال بحاجة إلى من يزيد فرقتها فرقة، فيشمت بها الأعداء، ويرثي لحالها الأصدقاء حينما تحل عليها هذه المحن من داخلها، متيحة للعدو التفرغ

لتحقيق ما لم يكن يحققه من قبل. والمؤلم أن يحصل هذا للكويت من أولئك الذين رفعوا شعارات الوحدة حتى تحول الأمر عندهم إلى السباق على الحصول على الوظيفة، كما يذكر أحد أولئك الذين خرجوا من هذا السباق مقتنعين بأن الخروج المبكر خير وأجدى من الانتظار إلى وقت يأتي لا تحمد عقباه.. والكويت تعد من الرموز التي كانت وستظل تسعى مع غيرها إلى تحقيق الوحدة بين العرب والمسلمين، وما علم عنها وعن جاراتها السعي بالطريق المعاكس، بل لم يعلم عنها أنها توانت في التزاماتها في هذا الشأن.

ومن أجل هذه المواقف للكويت ولجارات الكويت يكون هذا الشعور المزدوج بالعيد بين أهالي الكويت وفي القيادة بالكويت.

ومن بين الأهالي في الكويت أطفال الكويت الذين لا يزال جزء غير قليل منهم لم يفهم هذا كله، رغم ما دار حوله من أحاديث وما سمع من أخبار، وما رأى من نشرات، وما قرأ من صحف ومجلات كان من ضمنها مجلات الأطفال التي حاولت موفقة التخفيف من هول المحنة، فلم تفزع الأطفال بالتفصيلات.

والطفل الكويتي يحتفل بالعيد خارج الكويت.. وكان يحتفل في العيد خارج الكويت في بعض السنين، ولكنه كان مختاراً أو للدقة نقول إنه كان مع والديه وذويه يحتفلون بالعيد خارج الكويت مختارين.. ولم يكن كل أطفال الكويت على هذه الشاكلة، ولذا ستجد منهم من يسأل لماذا لا يكون العيد في الكويت ككل عام مضى؟ وإذا قيل للطفل في الكويت لا تصلح الكويت للعيد هذا العام، ستجده يسأل ولماذا قد تحررت الكويت؟ وسيكون قبول الإجابة صعباً على الطفل البريء؛ لأن براءته تحول دون تصور أن يحصل لبلده ما حصل لها وفي فترة قصيرة نسبيًّا طويلة على كثير من الناس.

سيقـول الناس إن الطفل سيحتفل بـالعيد بين الأطفـال مثله من أطفـال البلد الثاني . . ولكنه يريد أن يحتفل به في الكويت، وله الحق في أن يريد وإن لم يكن يملك حق تحقيق الإرادة . وسيفهم الطفل في الكويت أن هذا العيد الـذي يمر به ليس كالأعيـاد السابقة . . ولكن هذا الفهم سيأخـذ منه وقتاً .

وصعوبـة الفهم هذه ليست مقصورة على الطفل الكويتي فهنـاك آخرون ليسـوا أطفالاً لن يفهمـوا لِمَ لا يعيّدون فـي الكويت . . فـلا يزال كثيـر من الحلمـاء حيـارى، وحق لهم أن يظلـوا حيارى؛ إذ لـم يجدوا بعـدُ المبـررَ الـواضح لكل هذا . . وهـم لا يـزالون بحـاجـة إلى من «ينورهم» إلى أن مـا حصل للكـويت إنما هـو ابتلاء للأمـة كلها . . وقـد انتقل هذا الابتـلاء من الكويت إلى عضو آخـر من أعضاء الأمة، فلم ينعم هذا العضـو بالعيد . . وعيـده هـذه المرة واضـح تمامـاً أنـه ليس كـالأعيـاد التي سلفت، رغم أن الأعيـاد السالفـة لم تكن عيداً كلهـا، بل كـان فيها مـا ينغص على الفرحـة بالعيد، وفي ذلك كله حكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها .

ومع كل هذا سيظل المسلمون يحتفلون بالعيد كلما مر بهم احتفالاً يليق بـالمقـام الـذي هم عليه، فهـم بها يحيـون سنـة، ويطـردون من أذهـانهم إشارات اليأس والقنوط، ويظلـون ينظرون إلى الحياة بإيجابيـة يتطلعون من خلالها إلى ذلكم الوقت الذي تتقلص فيه المشكلات وتصبح محدودة في قضايا مؤقتة غير شاملة ولا مستعصية .

عيـدكم مبارك يـا أهل الكويت فـي الكويت وخـارج الكويت وعيـدكم مبارك يا من تحيون سنة العيد في كل مكان . . وعسى أن يعود على الجميع بأحسن حـال مما حل عليهم بهـذا العـام، والحمد لله على كل الأحـوال .

وكل عام وأنتم بخير .

حريق العرب .. !!

في الوقت الـذي تتجه فيـه الأنظار إلى مدريـد تحتفل الكويت بـانتهاء مرحلة من أحلك المـراحل التي مرت بهـا، بل ربمـا يقال دون تحفظ إنهـا أحلك مـرحلـة مر بهـا العـرب منذ فتـرة غيـر قصيـرة تعود إلـى غزو التتـار للمسلمين في بغداد.

وفي يـوم الإثنين ٢٨/ ٤/ ١٤١٢هـ المـوافق ٤/ ١١/ ١٩٩١م ينتهي مشروع إطفاء حريق الكويت/ حريـق العرب بأيدي العرب، لا على طريقة «بيدي لا بيد عمرو»، ولكن على طريقة «على نفسها جنت براقش»؛ إذ لم تتضـرر الكويت بهـذا الحريق فحسـب، بل لقد تضـررت العراق نفسهـا، وتضـرر العرب كلهم، وتضـرر المسلمـون جميعاً ولمـس العالم الآخـر من الحريق ضرر غير يسير.

وفي التاريخ يذكر أن نيرون قد أحـرق روما، وسيذكر في التاريخ أن رجلاً من العرب يسمى صدام حسين كان يحكم العـراق قد أحرق نفط العرب . . حكمة التـاريخ والاعتبار منـه سينظر إلى سبعمـائة بئر من النفط علـى أنها نفط العرب . . ليس على أنها نفط الكويت . . لأن التاريخ سيبين للأجيال أن نفط الكـويت لم يكن مقصـوراً على الكـويت . . كمـا أن نفط الخليج ليس مقصـوراً على الخليج . . ولكنهـا الآداب الإسـلاميـة، وفيهـا النخـوة العربية، والمروءة التي تأبى أن تسطر بـالأرقام أحجام المعونات التي تخرج من الخليج للعـرب . . والنخـوة العـربيـة والمـروءة هي التي تجعل حكـام الخليج يعلنون أنهم إنمـا يقومـون بواجب عليهم تجـاه إخوانهم المسلمين ومن بينهم العرب . . ولا نعـرف في النخوة العربية التخـريب ولا نؤمن نحن العـرب بأن المنطق أن يقال أنـا وابن عمي على الغـريب أو قبلها أنـا وأخي على ابن عمي . .

ولـذا فإن احتفال الكـويت يوم الإثنيـن إنما هـو طي لصفحة من كتـاب المأسـاة التي خلفهـا الغـزو العـراقي على بـلاد العـرب . . وفي الكتـاب صفحـات طـويت . . وفي الكتـاب صفحـات ستطـوى . . وفي الكتـاب صفحات لا أظنها قادرة / أو قابلة للطي . .

وأرى في إطفاء آخر بئر من الآبار التي أشعل النيران فيها إخواننا العراقيون بدء الانطلاقة إلى العالـم . . أو قولوا بـدء استئناف الانطلاقة إلى العالم بعد إعادة تـرتيب البيت الكويتي . وبعـد التغلب على الطيبة الـزائدة عن الحد المشهـورة عنـد أبنـاء الخليج حتى أصبحت مضـرب المثل . . ومجـالاً لاستغلال الخبيثين ممن لا يعرفون للمروءة معنىً ولا يقدرون للطيبة أثراً .

والشيء بالشيء يـذكر، إذ عندما زار الـوفد الكويتي هذه البـلاد الطاهرة أبـدى إعجابـه وتقديـره لـلإعلام السعـودي على وقـوفه مع الكـويتيين في محنتهم ، ويـؤخـذ هـذا التقـديـر على أنـه من بـاب أن يقـال للمحسن أحسنت ، وإلا فـلا أظن أن الإعـلام السعـودي بحاجـة إلى الإشـادة ؛ لأن تهـديد الكـويت أو أي بلد عـربي وإسـلامي إنما هـو تهديـد للسعوديـة ، وينتظـر من الإعلام السعـودي أن يقف مع القضـايا العـربيـة والإسلاميـة ، ويسعى إلى الإسهام في تحقيق العـدل في كل المجتمعات ، وهكذا ينبغي للإعـلام السعودي . وعلى أية حـال فإن موقف الإعلام السعـودي موقف لا ينكر ، وبخاصة الصحف السعودية ، وبالأخص بعض الصحف السعودية ، والدعاء بألا يختبر الإعلام السعودي بمثل هذه المواقف والأزمات . . وكان الله في عون الجميع .

الكويت وتحديد المواقف .. !!

عندما يخرج المرء عندنا من محنـة حلت به يردد قولاً متداولاً بين الناس حينما يقـول : «دخلت بعمر جديـد» وأظن الكويت اليوم قـد دخلت بعمر جديد . .

وقد قرأت لمصطفى أمين قـوله إن الكويت تعتزم تخفيض عـدد سكانها من مليونين إلـى مليون نسمة . . وهـذا موقف من مجمـوعة مـواقف تحاول الكويت أن تحدد تعاملها مع ما بعد الأزمة . .

ومن منطلق البعد عن تحكيم العـاطفة الذي عـرضت له في وقفة سـابقة أرى أن للكويت كل الحق في إعـادة بنائها «الديمـوغرافي» بحيث تستغني عن بعض العناصر التي لم تكن لها مواقف مشـرفة أثناء الأزمة . . وأذكر هنا البعـد عن التعميـم والـرغبـة الأكيـدة في التثبت قبل الـوصـول إلى قـرار الاستغناء .

ولا شك أننـا لا نخطط للكـويت ولا نملي عليهـا ، ولكننـا من واقع المسئوليـة المشتركة نـدلي بشيء مما نشعـر به جميعاً تجـاه حبيب تعرض لمحنة فخرج منها داخلاً بعمر جديد . .

والكـويت كانت وستستمـر مصدراً من مصـادر الخير الـذي عم جميع البلاد . . فقـد انطلق أبناء الكويت إلى بلاد المسلمين يقيلـون العثرات . . ويضمدون الجروح . . ويواسون اليتامى . . ويسلون الثكالى . . ويتوجعون مع الأيامى . . فكانوا من ذوي المـروءة الذين اشتكى لهم المسلمون حينما كان لا بد من الشكوى إلى ذي مروءة فواسوا وسلوا وتوجعوا . .

ولعل تحديد المواقف في الكويت ينعكس إيجابيًّا على العمل الإسلامي الإنساني الذي اشتهرت به الكويت، وتشتهر به دول المنطقة الأخرى اليوم بفضل من الله حينما تكثر الجمعيات الخيرية التي تقوم بما يقوم به ذوو المروءة. . ولا أظن أن تحديد المواقف في الكويت إلا مؤثراً تأثيراً إيجابيًّا على هذا الجانب من حياة أبناء الكويت الذي تعرض للتعثر المؤقت، ولم يقف بفضل الله. . وستعود المؤسسات الخيرية في أقوى مما كانت عليه. . وإن كانت هي نفسها ستعمل على تحديد مواقفها أيضاً. . ولكنه التحديد الذي لا يؤثر على العمل الإسلامي الإنساني إلا إيجابيًّا، كذلك حينما تعمد هذه المؤسسات الخيرية إلى تغيير بعض القنوات التي كانت تستخدمها من قبل فتصل مباشرة ودون وسيط إلى المستحقين، مما يتطلب مزيداً من جهود شباب الكويت في القيام بهذه المهمات جنباً إلى جنب مع شباب آخرين في البلاد التي يصلها الخير من الكويت.

لا بأس على العمل الخيري في الكويت فهو يصحو الآن من أزمة عصفت به كما عصفت بالكويت كلها. . وسيعود الخير إلى منتظريه في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا. . وسترسم البسمة مرة أخرى على الوجوه، وسيتنفس الصعداء كثيرون من أولئك الذين لحقهم الضرر من احتلال الكويت، فكانوا عوناً على الخروج من الأزمة بدعائهم على الظالم الذي سعى إلى خراب بيوت كثيرة لم تكن مقصورة على أرض الكويت.

وفي أيام الأزمة ما كان المرء يجرؤ على أن يتحدث عن هذا الجانب والأمة كلها مشغولة بما يظن أنه أهم من مجرد العمل الخيري، رغم أهمية العمل الخيري. . عندما نقابل رجالاً عرفوا بعمل الخير يتلعثم اللسان أن

يثير هذا الموضوع معهم وهم على ما هم عليه من حالة لم تكن تسر الصديق . . رغم أنهم وهم على تلك الحال قد واصلوا عملهم ، وحاولوا جادين التقليص ما أمكن من تأثر المستفيدين من الأعمال الخيرية بالأزمة . . ونحن حقيقة ننظر إلى التجربة الكويتية في الأعمال الخيرية على أنها الرائدة في هذا المجال ، تستفيد منها جهات متعددة في هذه البلاد وفي البلاد الأخرى من منطقة الخليج ، ولذا نطمح إلى مزيد من الجهود على مستوى الكويت وعلى مستوى المنطقة كلها ، وإلى مزيد من التعاون في شمولية التغطية وإلى مزيد من التنسيق في ميادين التغطية . .

أعان الله الكويت في تحديد مواقفها . . وأعان مؤسساتها على إصرارها على الخير . . وكان الله في عون الجميع .

الكويت في عيني مغصوبة !!

قابلت صديقاً قديماً من الهند كان يعمل في الكويت منذ سنة ١٣٩٧هـ وعائلته كانت معه، جاء إلى البلاد بحثاً عن عمل وهو مؤهل تأهيلاً عالياً ولديه قدرات . . اجتمعت به أكثر من مرة وحاولت أن أخرج منه بشيء . ولكنه كان يرد عليّ دائماً بحمد الله، واعتدت منه هذا الرد «الحمد لله» يقولها بإيمان، ولكني لم أيأس بل ألححت عليه من هنا وهناك، حتى بدأ يعطيني بعض الأخبار، فقد كان هناك عند بداية الأزمة، وبقي في الكويت أكثر من شهرين، حتى اضطر للخروج مع من خرجوا مخلفاً وراءه الشيء الكثير، متاعه وراحلته وداره وفوق ذلك كله ترك ذكرياته هناك، فقد عاش في الكويت خمسة عشر عاماً حتى وصل إلى البدايات في الإلمام باللغة العربية على الطريقة الكويتية .

هذا الشاب المسلم من الهند رأى الكويت تغتصب وأراد أن يفعل لها شيئاً ولعله فعل، ولكنه يصر على الإجابة بحمد الله الذي أخرجه وأهله سالمين . فقد كان من الممكن أن يحصل له ما حصل من المعتدين لغيره من الآمنين .

ونحن إذ نبدأ في تخطي هذه المرحلة ونحاول إدخالها في الذاكرة لاسترجاعها عند اللزوم أرانا نتعب كثيراً في إدخال المعلومات والأخبار عن الحال بعمومها، وأرانا نتعب كثيراً في حفظ هذه المعلومات ساكنة، إذ هي تأبى السكون فتلاحقنا في كل مجال، وكلما رأينا أخاً عزيزاً في الكويت ثارت في أنفسنا الأسئلة تثيرها المعلومات التي اختزناها ونحن في شك من مدى صحتها؛ إذ هي قائمة على الروايات، وآفة الأخبار رواتها .

والذي يتفق عليه المتحدثون من الكويتيين وممن عاشوا في الكويت أن الكويت قد عاشت حالة من الاغتصاب، لا تزال تعاني جروحه وستظل مدة تعاني هذه الجروح. وإذا كانت الكويت كلها قد اغتصبت بالمفهوم الشامل للاغتصاب فإن نماذج من قاطني الكويت قد مرت عليهم حالة الاغتصاب هذه وخصوصا النساء، وهناك قصص عجيبة لولا أنها منشورة في الصحف والمجلات من قبل المغتصبات أنفسهن لقلنا إن الرواة قد أدخلوا على القصص وأضافوا وزادوا. والقصص طويلة جاءت على شكل رسائل لمحرري الصفحات الاجتماعية من أولئك الذين يقترحون حلولاً للمشكلات. ولكن جزءاً منهم قد سرد القصة بروايتها وما استطاع قلمه أن يقدم حلاًّ. وترك القراء يحكمون بينما المرسلة كانت تبحث عن حل لمشكلة حصلت لها بعدما حصل لها ما حصل في الكويت. ومن تلك الرسائل القصص هذا المقطع القصير جدًّا من رسالة وصلت إلى بريد الجمعة في جريدة الأهرام في ٢١/ ٩/ ١٩٩٠م. تقول الراوية: «.. وفي اليوم الثالث (من الغزو) حدث ما لم أتخيله في أشد الأحلام المزعجة رعباً.. فقد حدث هجوم وحشي على المستشفى من (أبطال الغزو) وأقول لك والسخرية القاتمة تملؤني إن الوضع أصبح فجأة هكذا: الممرضات للجنود الأشاوس، والطبيبات للضباط الأبطال!! هل تصدق ذلك؟!! أنا نفسي لا أصدق، ولا أعرف شيئاً عما حدث.. لكنني أقسم لك أني قاومت مقاومة لم أكن أتخيل أني قادرة عليها حتى عجزت، ووجدت الجميع يصرخن ويولولن، والمرأة التي تزيد مقاومتها على الحد المحتمل تصبح هي الطبق الشهي للجميع نكاية فيها..» وتستمر الطبيبة في سرد القصة وهي التي كانت تمضي عامها الرابع والأخير في الكويت لتعود إلى

ديارهـا وقد جهـزت عيادة لهـا ولزوجهـا ، واشترت معه سيـارة وتمكنت من «تحويش» مبلغ من المال ، فأراد الله لحكمة يعلمهـا أن تكون «مناوبة» في الليلة التي حصل بها الغزو فتبقى هناك لليـال ثلاث ويحدث لها ما حدث في الليلة الثالثة .

وملكت الجرأة لتكتب رسالتها الطويلة ، وهناك من لم يملكن ما ملكت ويحاولن تجاوز هذا الموقف ، هذا في الوقت الذي نرى فيه بعض الضباط الأبطـال ينفي نفياً قـاطعـاً أن يكون مـا قيل إنـه قـد حدث بـالفعل . ويتهم الكاتبيـن بأنهم جنوا على الأشـاوس الأبطال . ولـدى المرء رغبة ملحـة في قبول النفي القاطع فهـذا يعين على سرعة تخطي المرحلـة ، ولكنه يصطدم بالشواهد الحية التي تصر على أنه قد حدث ما حدث .

والإنسان يتحمل ويمضي في التعامل مع الحياة ، ولكنه لا ينسى ما يمر به مـن أحداث عظام لهـا مساس مبـاشر بحيـاته . ولا أظن الكـويت وهي تمضي في التعامل مع الحيـاة ستنسى ، ورغم بعدنـا الحسي عن الأحداث المباشرة فإنـه من الصعب علينا كذلك أن ننسى . وربما تزيـد الروايات من عدم قـدرتنا على مجـرد التخزين في الذاكـرة ، وأظن أنه لـم يصلنـا بعد إلا القليل .

الكويت وبناء البنية..!!

تحتاج الكويت ـ ومعها دول المنطقة ـ إلى وقت غير قصير لتفيق من آثار هذه المحنة التي مرت بها. والكويت هي المتأثر المباشر من حيث القضاء على البنية الأساسية التي دامت أكثر من ثلاثين عاماً عاشتها الكويت في نماء ونماء.. وقام هذا النماء على صمود الكويتيين أنفسهم وعلى صمود أولئك الذين أسهموا في النماء من البلاد العربية والبلاد الأخرى. وهي جهود لا تنكر بقيت بصماتها على الكويت إلى أن تعرضت البلاد لهذا الدمار الذي لم يقتصر على مظاهر النماء المادية من عمران وحدائق وغيرهما.

الكويت اليوم تعيد بناء بنيتها الأساسية.. والبنية الأساسية لا تقتصر أبداً على مظاهر البنية المادية.. فمن السهل على الكويت بعون من الله أن تعيد البناء المادي وترميم ما يمكن ترميمه.. والبنية الأساسية في الكويت اليوم ستنظر بعمق أكبر إلى المواطن الكويتي الذي عاش سبعة أشهر من عمره وهو بين محتجز في بلاده أو محتجز في العراق أو ضيف على إخوانه في بلاد الخليج العربية والبلاد العربية الأخرى وبعض البلدان غير العربية.

والمواطن الكويتي قد واجه خلال هذه الأشهر السبعة مواقف لم يكن قد تهيأ لها من قبل فكانت الصدمة النفسية التي أتصور أنه بقي فيها مواطنون كويتيون إلى اليوم.. لقد قابلنا نماذج منهم ونحن بصدد تبيان حقيقة الغزو العراقي للكويت فوجدناهم غير ما عهدناهم فلم نستغرب؛ لأنهم لم يكونوا على استعداد حتى لمواجهة الموقف والحالات كثيرة والأمثلة أكثر.. هي أمثلة حية لتجسيد معنى التشرد الذي حل بالأسرة

الكـويتيـة . . البعـض في الـداخل . . والبعض مـوزع علـى العـالم . . إذ المحنـة قد بـدأت في موسم الصيف الـذي يغادر فيـه جزء من الكـويتيين الكويت للعمل أو للسياحـة . . فكان هـذا عاملاً مسـاعداً علـى التشرد ، وهـذا أسهم في تفاقم المحنـة والـذي أظن أنه ينبغي على الكـويتيين وهم يستعدون للعودة إلى البـلاد أن يدركوا أنهم عاشوا تلك الفترة في حـالة غير عـادية . . وأنهـم يعودون إلى بـلادهم وهي غيـر بـلادهم التي تـركوهـا . . وسيقابلون ربعهم وهم غير ربعهم الذين تركوهم . . وربما لا يقابلون بعض أعضاء الفـريق «الفريج» الذي كانـوا يعيشون فيه بـوئام . . وربما تتبين لهم أشياء كثيرة عن بعض الجيران أو بعض الأقران أو بعض من كانت لهم بهم عـلاقـة عمل أو زمالـة أو جيـرة أو غيـرهـا . . وحيث إنهم سيقابلـون هـذه المواقف وغيـرها فإنهم مطالبـون نظريًّا هنـا إلى التعامل مع هـذه المواقف بالحكمة والتفهم والإدراك .

وأظن أن على وسائل الإعلام في الكويت أن تعمل على تبيان هذا للناس في الكـويت ، وعلى الـديـوانيـات فـي الكـويت أن تعين على إزالـة هـذه الشوائب التي علقت في الذهن وكانت لها آثارها .

وأظن أن الكـويت بحـاجـة اليـوم إلى التعـامل مع هـذه المـواقف التي واجهها ويـواجهها الكويتيـون بعيداً عن العـاطفة وتغليب الظن في الحكم على المـواقف . . فالتثبت مطلـوب والابتعاد عن الخلفيـات المستمرة إزاء البعض مطلوب . فمـا يتحدث الناس عنـه في السلم قد لا يخضع للتطبيق أيـام المحن . . ففي المحنـة يلتحم الأصدقـاء مع بعض ويتعـاونـون على المواجهة . . كمـا أنه في المحنة يبرز الأعـداء المبطنون أيام السلم ، إلا أن المطلوب هنـا هو الابتعـاد عن التعميم وإلصاق الانطباعـات على كل من

ينتمي إلى فئة في المجتمع الكويتي أسهم بعض أفرادها، وليس كلهم، في إيجاد هذا الذهول الذي أصاب مواطني الكويت في مجملهم.

وتلكم كانت إشارات في محاولة للإسهام في تحديد موقف في الخطوات الأولى في إعادة بناء البنية الأساسية في الكويت التي تشمل المواطن، من حيث كونه هو مركز البنية الأساسية التي قامت في الكويت وتعاد اليوم. . ونطلب من الله العون لجميع أولئك الذين شملتهم المحنة من قريب أو بعيد، وكان الله في عون الجميع.

المادي.. والمعنوي.. في الكويت !!

يمر هذه الأيام عام ميلادي على احتلال الكويت، وقد مر العام الهجري قبل اثني عشر يوماً دون صدى يذكر. ويجتمع الآن في الكويت مجموعة غير يسيرة من رجال العلم والسياسة والفكر والتربية والإعلام للنظر في السنة التي مضت، قصداً إلى التقويم، ومحاولة للوصول إلى تحليل دقيق للأحداث التي سبقت الاحتلال والتي صاحبت الاحتلال والتي تلي الاحتلال.

وأعلم أن جزءاً من هؤلاء المجتمعين من أبناء الكويت أو أبناء الخليج أو أبناء العالم العربي لا يزالون حيارى، وأعلم أن جزءاً منهم قد اعتبر بالأحداث، وقلب الأمور فيها على وجوه عدة، فكانت النتائج المادية الماضية، وكانت النتائج المعنوية الباقية، ومن هنا تبدأ الوقفة الطويلة.

ويزداد الحليم حيرة حينما ينظر إلى نتائج هذه الحرب التي استمرت اثنين وأربعين يوماً.. كانت مدة الهجوم البري فيها حوالي مائة ساعة فقط.. والحق أن الحرب قد بدأت في الحادي عشر من محرم الحرام ١٤١١هـ الثاني من أغسطس (آب) ١٩٩٠م، أي أنها استمرت مائتين وأحد عشر يوماً.. مائة وتسعة وستون يوماً منها كانت من جانب واحد مقتصر على القوات العراقية تعيث فساداً في الكويت.. وتقابلها مجموعة من المرابطين من أبطال المقاومة في الداخل.. وكان المجتمع الدولي خلال هذه الأيام المائة والتسعة والستين يحاول الوصول إلى إقناع المحتل بالعدول عن الاحتلال.. فظهرت القرارات تتتابع.. ولكن لم يكن من مجيب..

ولا تزال المعلومات عن أسباب الاحتلال وظروفه وأهدافه غير كافية . . ولا نزال نسمع أشياء وأشياء . .

والمعلومات التي نعلمها إلى اليوم هي مما يزيد الحيرة حيرة حقًّا؛ إذ إنها معلومات بيانية تكشف عدم وجود مقارنة بين الجانب العراقي من حيث الكفاءة الحربية والجانب المشترك في تحرير الكويت . . حيث أسهمت ثلاث وثلاثون دولة (٣٣) في مسألة التحرير.

وفي حرب التحرير خسرت العراق بين ثمانين ألفاً إلى مائة ألف من أبنائها ممن تركوا وراءهم الثكالى واليتامى والأيامى . . وبقي من القوات العراقية عدد لايحصى من المصابين الذين انضموا إلى قافلة المصابين طيلة ثمان سنين من الحرب مع إيران . هؤلاء المصابون يشكلون عبئاً اليوم على المجتمع في العراق . . ونتيجة النزعة العدوانية لنظام بغداد.

وفي حرب تحرير الكويت كما ننظر إليها نحن خسرت العراق من عتادها الحربي الذي كان من المتوقع أن يصرف في موقع آخر جزءاً غير يسير تمثل في مائة وإحدى وأربعين (١٤١) طائرة حربية وأربعة آلاف (٤٠٠٠) دبابة، وألف وثمانمائة وسبع وخمسين (١٨٥٧) عربة مصفحة، وألفين ومائة وأربعين (٢١٤٠) مدفعاً، وواحد وثمانين صاروخاً سميت الحسين والعباس!! وأرسل جزء منها غير يسير إلى أحفاد الحسين والعباس . . وبالمناسبة لم تعد هذه الصواريخ إلى قواعدها سالمة كما ادعت إذاعة عربية موالية للعراق!! وبالمناسبة أيضاً فقبر الرسول ﷺ في المدينة النبوية، وليس في مكة المكرمة!! كما ادعت أيضاً إذاعة أخرى موالية للعراق في شخص حاكمها! أما السفن الحربية فقد خسرت

العراق منها ثلاثاً وسبعين سفينـة (٧٣) ولـم تخسر القوات المشتركة سفينة واحـدة .

وإذا أريد المقارنة فيمكن مقابلة خسائر العراق بخسائر القوات المشتركة في تحريـر الكويت التي بلغت سبعـاً وثلاثين (٣٧) طـائرة ودبابتين فقط ، وثماني عربات مصفحة وعدداً لا يـذكر من المدافع ، ومائة وخمسة وستين من الأفراد . . وانتهى الفراغ المعد لهذه الوقفة ولم يبدأ الاعتبار.

الله أكبر.. ما أحلى الرجوع إليه !!

للنصـــر ثمن . . وللحـق ثمن . . وللســـلام ثمن . . ولـــلأمن ثمن . . وللاستقرار ثمن . . ولكل مقوم من مقومات الحياة ثمن . . الثمن زهيد عند تحقيق النتيجة . . أي نتيجة .

إخواننا في الكويت يدركون هذه المعاني بعد الحرمان منها ما يزيد على مائتي يـوم متواصلة . . كـانوا قـد ذاقوا السلام فحـرموا منه . . وذاقـوا الأمان فحرموا منه . . وذاقوا الاستقرار فحرموا منه . . تشرد شعب بأكمله لأكثر من مائتي يوم . . كـانت أياماً عصيبة . . إذ لم يتوقف الأمـر هنا على التشرد . . فقـد وجـد الكـويتيون أوطـانـاً لهم مثل وطنهم نتيجـة مـا عـرف عنهم قبل الحادث . . وإنمـا التشريـد كان مصحوبـاً بالقضاء على كـل الكويت من الـداخل . . قضي على جهـود ثـلاثين سنـة في نصف سنـة فقط . . كـان المعتدي يعلم سلفاً أنه مغادر فـاتبع الطريقـة التي تقول : «إذا جيت رايح كثـر الفضائح» بـالعـامية . . والمعتـدي كـان كثيـر الفضائح قبل أن يغـزو الكويت فأكثر منها حينما قضى على الكويت . .

عجيبة تلكم الفتـرة التي عاشتهـا الكويت تحت نيـر الاحتلال . . نـريد دراسات مستفيضة تبين لنا صدق النظـرات التي تنطلق اليوم حول ما حدث للكويت في هـذه الفترة . . وحتى لا نتسرع في الحكم نحتـاج إلى حقائق مكتـوبة مصـورة تثبت للـذين لم يقتنعـوا أن يقتنعـوا أن الدمـار الـذي حل بالكويت لم يكن قد حـل في أي أرض تعرضت للاحتلال . . أي أرض . . حتى تلكم الأرض الحبيبـة التي لا تزال تتعـرض لـلاحتلال . . والحـوادث

كثيرة تلك التي تشير إلى أن أرضنا المحتلة تتعرض للمسخ والتحويل . . ولكنه مسخ لم يصل إلى محاولات مسخ الكويت . . شخصية الكويت . . طابع الكويت . . نهضة الكويت . . حضارة الكويت . . حضارة العرب في الكويت . . وهو مسخ لن يتم . . ولن يدوم بإذن الله .

لم يقتصر التدمير على المباني والإنجازات المادية . . ففي الكويت نهضة علمية وثقافية وحضارية مسخها المعتدي . . الكويت كانت رمزاً من رموز الإنجاز العلمي والثقافي في العالم العربي، وستعود ذلكم الرمز . . ستعود أكثر إمداداً تمسك بزمام المبادرة في الإنجاز العلمي والثقافي والحضاري، ستعود المعاهد العلمية والجمعيات الثقافية أقوى مما كانت عليه قبل الاحتلال . . فالناس في الكويت اليوم غيرهم في الأمس . . اليوم بات للأمن والاستقرار مذاق يفوق المذاق قبل سبعة أشهر.

وعليه ولئلا تنسئ الكويت بأجيالها القادمة لا بد أن تسجل هذه الحقبة الطويلة من الزمن . . لا بد من استخدام التقنية الحديثة في حفظ المعلومات الوثيقية ونقلها بالصوت والصورة . . وبالقلم وبكل وسيلة تحفظ هذه المحنة التي مرت بها الكويت . . ومرت بها منطقة الخليج . . ومرت بها البلاد العربية كلها . . حتى تلك البلاد التي ساندت المعتدي . . أو وقفت صامتة أمام الاعتداء . . إن كان هناك من وقف صامتاً أمام الاعتداء . .

ويطلع المطلعون على هذا التسجيل على مجموعة من الأساليب التي يراها المنظمون على النحو التالي :

ـ أولاً: إقامة معرض متنقل فيه وصف حي للفترة التي عاشتها الكويت وقت الاحتلال . . وليبدأ المعرض في بغداد بعد أن تحرر هي من الاحتلال

الذي استمر عليها أكثر من أربعين عـاماً، ثم ينتقل المعرض من بغداد إلى العواصم العـربية بين دمشق وبيـروت وعمان والقاهـرة والخرطـوم وطرابلس والمغرب وتـونس والجزائر والـرباط ونـواكشوط ومقـديشيو وصنعـاء وعدن ومسقط وأبو ظبي والمنامة والريـاض. . ثم ينتقل إلى عواصم العالم الآخر المتقدم. . والذي يتقدم.

والإدراك هنـا وارد حول مـوقف بعض العواصم العـربية من الأزمـة ولكن الموقف يتغير الآن. . وتعود هذه العواصم ـ على لسان قادتها ـ إلى دغدغة العواطف ـ ومحاولـة التقرب من الخليج وقيادة الخليج. . بعد أن اتضحت الرؤية وعاد الحق إلى نصابه والمياه إلى مجاريها في الكويت. والدعوة هنا ليست مـوجهـة إلى استغـلال هذا التحـول. . إذ المطلـوب الآن من قـادة الخليج أن يقومـوا هذه المواقف فيتصرفـوا بما يناسب التقـويم. . هذا من ناحيـة. . ومن ناحية أخرى فإن بعـض القيادات التي وقفت موقفاً منـاصراً للظلم والظـالم على الطـريقة الجـاهليـة لا يتـوقع لها أن تثبـت بالقيـادة، وخصـوصا أنهـا كانت تعتمـد كليًّا. . أو جـزئيًّا على خيـرات الخليج التي تصب فيها مباشرة أو من خلال رعاياها في الخليج. .

ـ ثانياً: إقامة متحف. . أو معرض. . دائم في الكويت يزوره كل من زار الكـويت. . ويـزوره أبناء الكـويت بين الفينـة والفينـة حتى لا تضيع هـذه المحنـة في زوايـا التـاريخ. . ولا إخالهـا تضيع. . ويكـون هـذا المتحف شاهـداً موضـوعيًّا مجرداً ومتجـرداً لما حل بـالكويت منـذ الأيام الأولى من الاحتلال ١١/ ١/ ١٤١١هـ ـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م إلى الأيـام الأخيرة من الاحتـلال ١٣/ ٨/ ١٤١١هـ ـ المـوافق ٢٥/ ٢/ ١٩٩١م. . وتكـون هنـاك مقارنة حيـة للأماكن والأشخاص قبل الاحتلال وبعـد الاحتلال. . وتحصر الأسماء التي أبلت في المقاومة ويعلن عنها في المتحف.

ـ ثالثاً: تنشئ جامعة الكويت أو أي هيئة بحثية شعبة خاصة بالمحنة التي حلت بالكويت تكون مجالاً رحباً للباحثين والدارسين والمحللين، وتحتوي هذه الشعبة على التالي:

أ ـ مركز معلومات متكامل عن المحنة التي حلت بالكويت يرصد فيه ـ قدر الإمكان ـ كل ما كتب عن المحنة الفتنة باللغة العربية، واللغات العالمية الحية..

ب ـ قسم للبحث والدراسة تستكتب فيه الشعبة رجال الاجتماع وعلوم السياسة والاقتصاد والعلوم الشرعية، ليكتبوا أبحاثاً علمية حول الفتنة المحنة من زوايا دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية.. وغيرها.

جـ ـ تقيم الشعبة ندوة أو مؤتمراً سنويًّا حول المحنة الفتنة تدعو إليه رجال العلم والفكر في العالم العربي والإسلامي والعالم الآخر. وتركز فيه المناقشات على المحنة وأبعادها على الكويت والعراق والمنطقة والعالم.

ولا بد من التوقف هنا.. ثم العودة إلى هذا الموضوع في وقفة بإذن الله.. وهنيئاً للكويت بحريتها.. وهنيئاً للكويتيين بعودتهم.. وللحديث صلة.. وكان الله في عون الجميع.

الله أكبر.. كم في النصر من عجب !

في النصر عجب . . لينظر إليه من نوافذ مختلفة . . والنصر غالباً يعني الهزيمة للظالم . . وكان المهزوم غافلاً عن هذه النتيجة . . أخطأ الحساب فبدأ يدفع الثمن غاليا . . ولو كان الدفع مقصوراً عليه لهان الأمر؛ لأنه قد انتهى . . ولكنه خلف وراءه شعباً مثقلاً بالنكبات . . بالمصائب . . خلف الثكالى والأيامى واليتامى والمعاقين والمتخلفين وخلف الدمار . . ولكن هذا الشعب المثقل بكل هذا سيعاود القيام . . سيتغلب على الصعاب . .

والكويت اليوم قد دمرت . . ولكن شعبها لم يتدمر . . لم يهزم الشعب في الكويت . . ولم تهزم القيادة في الكويت . . عاد الجميع ولا يزالون يعودون مرفوعي الرأس . . لا ينحنون إلا لله . . عادوا إلى أرض الكويت وهم يصلون لله شكراً على النصر . . وعلى بيان الحق وزهق الباطل . . والباطل زهوق .

وكنت قد وقفت عند حلاوة الرجوع إلى الكويت . . وأغلى منها الرجوع إلى الله ، البادي على الناس من خلال تعبيراتهم . . وهم يحمدون الله أولاً . . ثم يحمدون أولئك الذين كانوا وراء هذا النصر ممن سخرهم الله للوصول إلى هذه النتيجة . . وفي تلكم الوقفة دعوت الكويت حكومة وشعباً إلى عدم نسيان ما حدث . . وتجسيده من خلال المعارض المتنقلة والمتاحف الثابتة التي تصور تصويراً حيًّا وموضوعيًّا الفترة الحالكة التي عاشتها الكويت .

وأعود اليوم لأدندن حول هذا الجانب . . إذ لم أوفه حقه في الوقفة السابقة ، فالمناهج التربوية في الكويت بحاجة اليوم إلى أن تضمن هذه

الفترة العصيبة في مقرراتها . . فـي الجغرافية . . والتاريخ . . والاجتماع . . والعلوم السياسية . . والعلاقات الدولية .

والمناهج التـربوية في البلاد العـربية بحاجة اليوم إلـى أن تكون واضحة في حـديثها عن البـلاد العربيـة . . جغرافيـة وتاريخـاً واجتماعـاً وسياسـة وعلاقات . . والمنظمة العـربية للتربية والثقافة والعلوم مطالبـة اليوم ـ أكثر من أي يوم مضى ـ أن تمارس دورها فـي إحقاق الحق وترسيخ سيادة الدول العربيـة واستقلاليتهـا . . ولا يمنع هذا من تـركيزهـا على الاجتماع العـربي المبني على التفاهم والاتفاق والرغبة في الاجتماع . . بعيداً جداً عن التنظير والمثاليـات . . وفرض الأفكـار بالقوة . . واستخـدام حراس البـوابات على المعلومـات والأفكار الأخرى التي تـريد هذا الاجتمـاع العربي المبني على التفاهم والاتفاق والرغبة في الاجتماع . . وممـا نؤمن به حقاً إمكان اجتماع الأمة العربيـة على ما اجتمعت عليه من قبل . . فلن يصلح آخـر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . . وهذه فكـرة واقعية لا تجد كثيراً من الصدى والتبني في بعض المنتديات التي تدعو إلى الاجتماع العربي .

والمنظمة العربية للتـربية والثقافة والعلوم بحاجـة ملحة إلى ترسيخ هذه المفهومـات إن كانت جادة في تحقيق أهـدافها . . مع إدراك ما تتعـرض له المنظمة اليوم تبعاً لمـا تتعرض له المنظمة الأم . . جامعة الـدول العربية . . وأترك الحـديث عن المنظمة الأم خشيـة أن تسيطر العـاطفة عنـد الحديث عنها ! !

وفي النصر عجب . . إذ بـانتصار الكويت ستقوى المنظمـات الإقليمية الأخرى في إعادة تقـويم مواقفها من المشكلة كلها . . وستعيـد نظرتها إلى الخليج بعـامة . . وليس سـرًّا أن النظرة إلى الخليج كـانت مشوبـة ببعض العوامل العاطفيـة البعيدة عن الواقعية فكان ما كـان . . ولا إخال ما كان إلا نتيجة لبعض العوامل العاطفية البعيدة عن روح الواقعية . .

وفي النصر عجب . . إذ بانتصار الكويت ستعيد الكويت نفسُها تقويم مواقفها من بعض المنظمات الإقليمية التي كانت لها مواقف مؤيدة للظلم . . بعيدة عن الحق . . في الوقت الذي كانت فيه هذه المنظمات في مجملها تعتمد اعتماداً كبيراً، بل ربما كليًّا، على الكويت وباقي الدول الخليجية الأخرى . . والقول هنا ليس جزافاً . . ولكن الأرقام والبيانات تؤيد اعتماد هذه المنظمات على هذه المنطقة رغم الالتزام الأدبي لأعضاء آخرين كانوا مقصرين في دفع المستحقات عليهم . . وهذا أمر بات معروفاً . . والمؤمل هنا ـ والكويت تعيد التقويم ـ ألا تتأثر الجهات التي لم تكن مسئولة عن تصرفات أشخاص فيها كانوا يمثلون أنفسهم، وإن كانوا محسوبين على هذه المنظمات . . إذ تطلعنا الأخبار بالتراجع الملحوظ في المواقف . . ولكن بعد النصر . . وكانت الحاجة إلى عدم نصرة الظالم منذ البدء . .

وفي النصر عجب . . إذ ستعمل المنظمة التربوية الخليجية النشطة (مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية) ـ ومقره الرياض في المملكة العربية السعودية ـ إلى الدعوة إلى إعادة النظر في المفاهيم التربوية في منطقة الخليج، بحيث تستطيع هذه المناهج الحديث عن المنطقة بكل وضوح بعيداً عن المجاملة التي اشتهرت بها بعض المنظمات العربية . . وبعيداً عن تناسي بعض القضايا الحساسة التي تقض مضجع فئة من المصلحين الذين يسعون إلى الوئام العربي . . فالوئام لا بد أن يقوم على المنهجية والعلمية تاركاً الشعارات جانباً . . ولا بد أن يكون للأكاديميين تأثير بارز في توجيه هذا الإصلاح من خلال المنظمات والمؤسسات العلمية الأكاديمية التي تضع الحقائق وتدرس المشروعات .

الكويت.. ورحلة العودة..!!

بعد أيام قليلة تبدأ رحلة العودة إلى الكويت . . وهذه وقفة ودٍّ و إخاء قبل عودة الإخوة إلى ديارهم . . لقد كان تآلف، وكانت محبة، وكانت أخوة، وكان امتزاج . . وبدأ الناس الآن بعد زوال المحنة يفكرون في آثارها الإيجابية بعدما علمت تلكم الآثار السلبية التي صحبت غزو الكويت وتلت الغزو. . والآثار السلبية ستبقى لزمن على الواقع وفي النفوس . . والآثار الإيجابية سترسخ وتزداد يوماً بعد يوم؛ إذ الالتفات اليوم منصب على تقويم الحدث . . وأظن أن هناك آثاراً إيجابية داخل الكويت وخارجها، ولكنني لن أعمد إلى حصرها أو ذكر بعضها، فلهذا مجالاته في الصحافة المحلية والخليجية والعربية، بل والعالمية، وكذا له مجالاته في الدراسات العلمية الصادرة عن المؤسسات التعليمية والعلمية والاجتماعية .

ولا أظن جامعة الكويت والمؤسسات العلمية الأخرى في الكويت إلا سباقة إلى طرق الموضوع من نواحٍ عدة في دراسات جادة تعتمد على المنح والتكليفات والاستكتاب . وفي محاضرات علمية واجتماعية دورية ستطول في عددها وستكثر، وفي ندوات علمية واجتماعية أيضاً تسلط فيها الأضواء على جوانب عدة من الفترة التي عاشتها الكويت في وسط المحنة .

ومن هذه الجوانب ـ على ما أظن ـ جانب إقامة الكويتيين خارج الكويت فترة طويلة، وتأقلمهم مع المجتمعات التي بقوا فيها، سواء كانت هذه المجتمعات عربية إسلامية أم مجتمعات أخرى غير إسلامية، ستدرس هذه الفترة من زوايا نفسية واجتماعية وتعليمية واقتصادية .

وستدرس العلاقات التي نشأت بين الأسرة الكويتية والأسر الأخرى التي ناصرت الكويتيين وتآخت معهم في جو بديع من المواقف الطيبة التي تترجم المروءة والكرم على أرض الواقع، فظهر الأصدقاء في الشدائد، وعرف الآخرون أو بعض منهم.

والمجتمع السعودي هو أحد المجتمعات التي ناصرت الشعب الكويتي، ووقفت معه وقفة أظنها لم تخرج عن مفهوم المروءة والكرم الذي اشتهر به هذا المجتمع واشتهر به المجتمع العربي كله.

ويردد الكويتيون رغبتهم في رد هذا الموقف في مستقبل الأيام، ولا إخالهم يقصدون أن تحصل فتنة أخرى، وإنما هو أسلوب متبع في تبيان مدى الامتنان عندما يقدم للشخص خدمة ما كان يتوقعها بالصورة التي جاءت عليها، ومع هذا يؤكد المجتمع السعودي لإخوانهم أنهم إنما قاموا بالواجب الذي يمليه عليهم دينهم الداعي إلى النصرة والوقوف مع المظلوم في وجه الظالم والظلم.

وكل هذا ليس جديداً على القارئ، ولعل الموقف يدعو إلى الحد من تكرار مثل هذه النبرة في الحديث، إلا أن المقصود هنا هو دراسة هذا الموقف الذي حصل والخروج منه بنتائج أظن أنها سوف تركز على قوة الرابطة في المجتمع العربي والإسلامي، تلكم الرابطة التي لا تبدو واضحة في أيام الرخاء.

وهناك مؤسسات اجتماعية في الكويت أذكر منها جمعية الإصلاح الاجتماعي، وجمعية إحياء التراث، وغيرهما من المؤسسات التي ينتظر منها أن تسهم في تحليل الوضع عن طريق التكثيف من النشاط الثقافي المتمثل في الخطب والمحاضرات والندوات والتأليف للكتب والمقالات، ومع شح المكتبة العربية المعهود إلا أننا وجدنا مجموعة غير يسيرة من المقالات العلمية والكتب المؤلفة أثناء الأزمة، إلا أن الطابع الذي يجمعها

هو سرعتُها في نشر المعلومات التي تحتاج إلى مزيد من التوثيق والتثبت. وهنا يأتي أثر هذه المؤسسات في إصدار مجموعة من المؤلفات المتأنية التي يمكن أن تستخدم مراجع لدراسات تالية في الجامعات والمعاهد العليا.

والذين عاشوا التجربة في الكويت مطالبون علميًّا واجتماعيًّا أن يسجلوا ما عاشوه خلال الفترة التي امتدت إلى تسعة أشهر وتزيد، بحيث يستفاد مما يسجلونه عن طريق ما يسمى بالتاريخ الشفهي للحدث. ثم تجمع الكتب والمحاضرات والأحاديث وتكون نواة لمكتبة أو مركز معلومات مخصصا لهذه الفترة التي عاشتها الكويت. ولعل هذا الاقتراح يأتي امتداداً لاقتراح سابق حول إقامة معرض أو «متحف» يحكي الفترة، فتأتي الكلمة وتحكي الفترة أيضاً، ولكن باختلاف في فئة المستفيدين من هذه الأوعية التي تحمل بين دفاتها معلومات مهمة.

والكويتيون بعد عودتهم مباشرة سيشغلون بأشياء ضرورية، وهي حقًّا أهم من هذه المشروعات الكمالية عند البعض، وهذا صحيح، ولكن المؤمل ألا تغفل هذه النواحي مع زحمة إعادة البناء والتعمير وفترة «التوطُّن» التي سيمر بها إخوتنا العائدون إلى الكويت.

وهناك مشروعات كثيرة ستراها الكويت، وستنطلق من الكويت، تحكي الأزمة وما بعد الأزمة، ويستطيع المرء أن يفكر في شيء كثير منها، إلا أن التركيز هنا منصب على ما يعنينا من الرصد العلمي للمعلومات المهمة والمؤثرة التي تستطيع أن تصوِّر الأزمة بتجرد ما أمكن، بحيث يستطيع الباحث أو الدارس الخروج بالأحكام الموضوعية من خلال ما يجده من المعلومات الدقيقة التي يعمد إلى تحليلها واستخلاص النتائج منها.

وأظن علماء الاجتماع هم المعنيين في المرتبة الأولى بدراسة هذه الفترة، ثم يليهم علماء النفس والعلماء الآخرون من اقتصاد وعلوم سياسية وتربية وغيرها.

شكر العودة:

ولا تكاد تتصور مرحلة العودة إلى الكويت؛ إذ ستكون مشحونة بالعواطف، ولا بد من دموع ستسيل على الوجنات، ولا بد من وقفات تأمل وتفكر، ولا بد من مواقف محزنة مفرحة. وكل هذا متوقع، إلا أن المتوقع معه أن يسجد كل مواطن ومقيم يعود إلى الكويت لله شكراً على العودة. والمتوقع أن يتم هذا من خلال ركعتي الشكر لله ـ تعالى ـ على غرار ما قام به ولي عهد الكويت الشيخ سعد السالم الصباح الذي لم ينس في خضم الانفعالات أن يعطل كل شيء من سلام واستقبال واستعجال فيقف بين يدي الله ـ تعالى ـ شاكراً خاضعاً مؤمناً بقدرته غير المحدودة، وبحكمته البالغة في كل ما يحصل لعباده.

وقد كان ذلك موقفاً مؤثراً كانت له أصداء طيبة على مستويات مختلفة وينبئ عن مستقبل عزيز للكويت، ولكل أولئك الذين لم ينسوا الله تعالى فلم ينسهم الله تعالى. وهذا هو المتوقع من العائدين برًّا أو جوًّا. وحمد الله وشكره مشروع في السَّراء والضراء كما هو معلوم. وهي على أية حالة إشارة قوية إلى ترسيخ العلاقة مع الله إيماناً بحكمته تعالى.

هنيئاً للكويتيين بعودتهم إلى بلادهم، وهنيئاً للمجتمعات العربية والإسلامية التي رسخت جسور الود والمحبة مع هذا الشعب الطيب، وهنيئاً لأولئك الذين كسبوا أصدقاء جددا سيعمدون إلى زيارتهم في

ديـارهم، وأظن أن الترابط بين هـذه المجتمعـات جميعهـا أضحى أقـوى بكثير ممـا كان عليه من قبل على المستـويات الرسمية والشعبيـة. واللقاء القادم سيكون ـ بإذن الله ـ في الكويت البلد، وفي الكويت الحكومة؛ وفي الكويت الشعب.

وإن كـانت هذه العـودة صغيـرة والمدة ــ نسبيًّا ــ قصيـرة فلعلها تكـون تمهيداً لعودة شعوب أخرى إلى ديارها وأوطانها بعد أن تزول عنها الغمة التي حلت بهـا سنين طـويلة، وسجـدة الشكـر التي سيسجدهـا المـواطن في الكويت لعلها تكون تمهيداً لسجدتي شكر في القدس الشريف، وما ذلك على الله بعزيز، ونحن عليه متوكلون وبحكمته واثقون، ولعونه متطلعون.

على هامش مهرجان الجهاد

يقول الله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم . .﴾ ويفسر رسول الله ﷺ القوة بأنها الرمي .

ومدلول الرمي لا يزال يسير معنا منذ أن نطقها رسول الله ﷺ إلى ما يأتي من الأيام . فليست مقصورة على السهام والنبال ، وليست كلمة الرمي مقصورة على رصاص البنادق وقنابل الدبابات والمدافع ، وليس الرمي مقصوراً على الصواريخ وأسلحة الجو الرامية وأسلحة البر القاذفة .

ولا يستطيع المسلمون ـ كما لم يستطيعوا من قبل ـ أن يعزُّوا دينهم إن لم يعدوا القوة ويتقنوا صناعة الرمي . والأحداث التي مرت وتمر بالمسلمين منذ أكثر من عشر سنين لا تزال تثبت لهم ـ ونحن منهم ـ أننا لا نزال متأخرين في إعداد القوة التي أمرنا بإعدادها نرهب بها عدو الله وعدونا .

وتجربة المجاهدين في أفغانستان أقرب مثال حي على هذا حيث يجاهد المسلمون هناك وهم بعيدون بعداً كبيراً عن التوازن في القوة ، لولا أن المجاهدين يملكون قوة الإيمان ـ ونحسبهم كذلك ـ التي جعلتهم قادرين على الصمود أمام عدوهم العاتي بما لديه من القوة الحربية والقوة البشرية والقوة المالية ، مما جعل المسلمين المتابعين للجهاد في أفغانستان يؤمنون حقًّا بأن المجاهدين الذين يرمون لم يكونوا يرمون وحدهم ، ويؤمنون بأن للكرامات أثراً في جهاد الأفغان . استطاع الدكتور عبد الله عزام ـ وهو أحد الذين عايشوا الجهاد في أفغانستان ومات في سبيل الله ـ بإذن الله ـ أن يكتب في هذا الكتاب ، ويحاضر عن الكرامات في الأماكن التي زارها بحثاً عن التأييد المادي والمعنوي للأفغان والمسلمين المجاهدين في

أفغانستان، حيث جاب البلاد شرقـاً وغرباً. رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في جنات عليين مع النبيين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً.

وفي فلسطين المحتلة لا نغفل محـاولات التهيئة للقوة في سبيل تحـرير فلسطين من الغـاصبين اليهـود، إلا أن التقصيـر في إعـداد القـوة من قبل الفلسطينيين والعرب والمسلمين أطال المشكلة، وجعلها تصل في رحلتها الحـالية إلى استخـدام الحجارة مجـالاً للـرمي عنوانـاً للقوة. مِثلُ الأفغـانِ ينقص الفلسطينيين التوازنُ مع عدوهم الذي لديـه من الإعداد ما يفوق كثيراً ما لدى الأطفـال «أطفال الانتفاضة» الـذين بهروا العالـم كله بـالطريقة التي أقلقـوا بهـا عدو الله وعـدوهم، ونـالـوا تعـاطف العالـم، وبـدأوا يكسبـون مكـاسب معنويـة واسعة مـع المكاسب المـادية المحـدودة، **ولولا موقف القيادة الفلسطينية من أزمة الخليج لاستمر تأثيرهم على العالم وعلى القضية الفلسطينية، قضية المسلمين جميعاً.**

إلا أن مناصرة القيـادة للظالـم ونصره على ظلمه جعل العـالـم يعيد النظر في تعاطفـه مع هؤلاء الأطفال، وخصـوصا أن هناك إصـراراً مستمرًّا على أن منظمـة التحـرير الفلسطينيـة هي الممثل الأوحـد للقضيـة الفلسطينيـة في المحـافل الدوليـة. وكان لهـذا أثـره على قوة أطفـال الحجارة. فأعـان الله الأطفال وهيأ لهم من يستطيع أن يستغل قوتهم هذه في مصلحة القضية.

وأزمة الخليج مثـال ثالث على الدعـوة إلى إعداد القوة التي تـرهـب عدو الله وعدو المسلمين. فقد نادى المسلمون بقوة إسلامية تروع الظالـم وتوقفه عند حده.

ولكن واقع الحال أن القوة عند المسلمين محـدودة جدًّا مما اضطر دول الخليج العربية إلى دعوة القوة الأجنبيـة للمساندة في وقف الظلـم أولاً وعدم

السماح بامتداده في الزمان والمكان، ثم إعادة البلاد التي احتلها المعتدي إلى أهلها وسيادتها واستقلالها. واستدعى هذا ما استدعى من حالة لم يكن يرغب فيها أحد، ولم يكن يسعى إليها أحد سوى الظالم نفسه الذي جر المنطقة إلى هذا المأزق الذي تعطلت فيه جميع الوسائل إلا وسيلة القوة.

ولا تنسينا هذه الأزمة أمثلة أخرى تعاني فيها الأقليات المسلمة ضعفًا في قوتها، وقوة في جانب أعدائها في الفلبين وأرتريا وغيرهما من الأماكن التي تعيش حالات من الضغط المتعمدة قصداً إلى الحيلولة بين هذه الأقليات و إعداد القوة والقدرة على الرمي. ولعل من كتبت له هذه الحروف يدرك ما يعترض إعداد القوة من تحديات لا تعمل إلا الانثناء عن تخطيها بعد التغلب عليها. وكان الله في عون الجميع.

لقد ضيعت إلى القدس الطريق!!

سنوات الحرب طويلة . . يوم الحرب طويل . . الحرمان من كل مقوِّمات الحياة شيء لا يرتضيه المرء لنفسه إلا إذا كان يرجو النعيم ومقوِّمات الحياة الأبدية . . ورئيس العراق الحالي خاض حرباً فعلية دامت ثماني سنوات مع نظام الآيات في طهران . . حرم في هذه الحرب شعباً بأكمله من كل مقومات الحياة . . في الوقت الذي يدرك فيه جزء من أبناء العراق أنهم بحربهم تلكم لا يرجون النعيم . . لأن الحرب لم تقم لتكون كلمة الله هي العليا . . وهذه حقيقة علينا ألاّ نغفلها . . مهما رفعت الشعارات التي تحاول ربط الماضي بالحال التي كانت عليها الحرب . . فليس كل قادسية قادسية . . وليس كل سعدٍ سعداً . . وليس كل جندي مجاهداً . .

قالوا عن الرئيس العراقي الحالي إنه حامي الضفة الشرقية للعرب . . بل قالوا عنه إنه حامي حمى الخليج أمام تصدير الثورة الإيرانية بما تحمله من مبادئ ومعتقدات ، وقالوا عنه شيئاً كثيراً . . لم نسمع أكثره . سمعنا عنه قولهم فارس العرب ، والحق أن الألقاب رخيصة هذه الأيام . . فالرتب العسكرية أعطيت الرئيس ولم يكن يوماً عسكريًّا . . ولم يدخل دورة عسكرية ، ناهيكم عن الدراسة العسكرية المنهجية . . ومع هذا أعطوه أعلى الرتب العسكرية . .

وفارس العرب تعطى للفارس العربي الحق الذي يؤمن بما آمنت به العرب . . ويسعى إلى أن تكون هذه المبادئ التي آمن بها العرب هي العليا . . وما آمنت العرب إلا بما جاء به سلفها الصالح . . وما عداه فهو غثاء كغثاء السيل لا ينفع الناس .

فارس العـرب «المزعوم» سجل تنـازله عن كل شيء بني لـه طيلة السنين العشـر الماضيـة حينمـا أرسل مـوفده طـارق حنـا عزيـز إلى طهـران يسلم حكـامها وثيقـة الهـزيمـة والتنـازل لهم عن كـل شيء . . كل شيء حتى الكبرياء . . حتى الشعارات . . حتى الأرواح التي ذهبت ضحية الحرب . . حتى الأنفس التي لا تـزال تعاني الحرب نفسيًّا وجسديًّـا . . حتى الأمهات الثكـالى . . حتى الـزوجـات الأرامل . . حتى الأطفـال اليتـامى . . حتى الشيوخ المحـرومين . . حتى الأموال والمـؤن التي أنفقت طيلـة الحرب . . حتى مصداقيـة الرئيس . . تنازل الرئيس عن كل شيء . . لم يتنـازل عنه في الوثيقة التي حملها طارق حنا عزيز فحسب، بل تنازل عن كل شيء حينما أغار على شعب آمن مطمئن خطـا خطوات في سبيل الاستقـرار . . وبدأت آثاره العلميـة والثقافيـة والاقتصاديـة تنتشر فـي البلاد العـربية كلهـا . . غزا الكـويت وأهلهـا الكويتيين وحكـامهـا آل الصبـاح . . ونسي مـا بذلـه لـه الكويت . . ونسي ما بذله له أهلها الكويتيون . . ونسي ما قدمه حكامها آل الصباح . . عجيب أن ينسى كل هذا ويتوجـه إلى «أرباب» نعمته فيطردهم من بـلادهم في ساعـات، ضاربـاً عرض الحـائط بكل المبادئ والأعـراف والتقاليـد الإسلامية أولاً والعربيـة المنبثقة عنها . . والعالميـة التي تحكمها المجالس والهيئات . . لقـد أوقع الرئيس نفسه في مأزق لن يخـرج منه كما دخل فيـه أمام شعبه وأمتـه والعالم أجمع . . لقـد مسح من الأذهـان صورة الفارس العـربي التي أُلبسهـا دون تروٍّ أو نظر فـي مدلـولها وانطباقهـا على الرئيس .

ورغم الثقة العـارمة التي يتمسك بها كل من ذاق هذه المحنـة في العودة إلى الكويـت، وعودة الكويت إلـى أهلها ورجالهـا . . ورغم أن البعض لم

يفق إلى الآن من هـول الصـدمـة ولا يكـاد يصدق مـا حـدث . . ورغـم مـا سيحـدث للـرئيس من تقلبـات بـدأت مع الأيـام الأولى لغـزو الكـويت الحبيب . . رغم كل هذا فلن يبقى للرئيس مكـانة في قلوب العرب . . حتى أولئكم الـذين أظهـروا وقوفهم مع الـرئيس سيكـونون مـن أول الناهشين لـه عندما يوضع في مكانه الذي يستحقه . .

ألسنـا نقول في أمثـالنـا الشعبية : إذا وقع البعيـر كثُـرت سكاكينـه؟! . . وهكـذا الحـال للـرئيس الـذي بـاع كـل شيء . . ربمـا حتى عقلـه بـاعـه للشيطان . . والشيطـان حريص جدًّا علـى ابتياع العقول والأفئـدة . . يُزيّن لأهلها كل شيء سيئـا . . ونعرف جميعاً حبـائل الشيطان . . ولكننا أحيـاناً نستسلم لها أو لبعضها . . وقد استسلم الرئيس لها جميعاً . .

ثم بعد غزو الكويت الحبيب يخرج علينا الرئيس بالدعوة إلى إنقاذ الحرم المكي وقبـر رسول الله ﷺ ، وكأن الحـرمين الشريفين قـد وقعا في أيـدٍ غير آمنـة ، وكأن الحرمين الشـريفين قد تعـرضـا للغزو كمـا تعرضت الكـويت للغزو . . وإذا كانت هناك دعوة لإنقاذ الحـرمين الشريفين فإنما هي موجهة للمسلمين الذين يخدمون الحـرمين من الغزاة وممن هادنهم الغزاة . . وكأن دعوة الرئيس لإنقاذ الحرمين إنما هي دغـدغة لعواطف حكام طهران حينما يبيع عليهم سلعـة يستهلكونهـا محليًّا . . وهـو بهذا يمهد أمـام الخمينيين لقبول وثيقة الهزيمة التي حملها أحد أعوان الرئيس . .

ولعل الدعـوة إلى إنقاذ قبـر الرسول ﷺ مـوجهة إلى عـواطف القبوريين الذين لن تشدهم المقـدسات الإسلامية كالحـرمين . . ويعلم الرئيس ـ ولا إخـاله يعلم ــ موقف الإسـلام من القبور والمقـابر . . حتى لـو كانت هـذه القبور لأنبياء الله ورسله وعباده الصالحين . . والمسلمون صادقو العقيدة لا

يزورون قبر الرسول ﷺ ولكنهم يزورون بيت الله، مسجد رسوله محمد ﷺ، ثم يسلمون على رسول الله ـــ عليه الصلاة والسلام ـ وهذه نقطة عقدية يقع فيها المخلصون من أبناء الإسلام. . ناهيكم عن أولئك الذين يمتطون صهوة الإسلام لتحقيق ما يصبون إليه في تأكيد وطأتهم وترسيخ مبادئهم التي فرضوها على عباد الله. . حتى هذه المبادئ التي حملوها وفرضوها على شعوبهم ونادوا فيها بالعروبة والوحدة تحطمت في يوم وليلة حينما حمل العرب على العرب. . ويكفي أن نقرأ أخبار رجال العروبة، وهم يسلبون البيوت والمعارض والمصارف، ويهتكون الأعراض ويهينون الرجال، ويقهرون أولئك الذين دفعوا لهم الغالي قبل الرخيص في محنة الرئيس مع جاره من الشرق. .

لقد تنكر الرئيس لكل شيء. . وسيتنكَّر له كل شيء، فكما تُدين تُدان. . وإذا لم تستح فاصنع ما شئت. .

مُسخ الفارس كذاباً صفيقاً

ليس مستغرباً ما يتخذه صدام حسين في حق الكويت، ثم في حق الحرمين الشريفين، ثم في حق الإسلام والمسلمين. . لقد خرج صدام في أفعاله عن القيم والأخلاق. . بل ذهب إلى أكثر من ذلك حيث أساء للإسلام بكل تصرفاته. . إنني أرثي الأمة في هذا الرجل. . وأسأل كيف استطاع شعب العراق أن يتحمل هذه «اللوثة» الصدامية ؟!

من قطعة شعرية قالها الأديب الشاعر غازي القصيبي وكان مطلعها :

عجباً كيف اتخذناك صديقاً؟ وحسبناك أخاً برًّا شقيقاً؟

وهو يرثي بها الأمة العربية على سقوط شخص كاد أن يسمى فارس العرب. لقد تغير الفارس بين يوم وليلة، وأصبح أسداً على إخوانه وأشقائه وانحنى أمام أعدائه. . أعداء العرب والمسلمين أجبن من نعامة. . لقد استأسد هذا الشخص على أولئك الذين أشركوه في خيرهم. . انقلب على من قلدهم الأوسمة. . غدر بمن فتحوا له قلوبهم وجيوبهم وضحوا بالكثير من أجله. . تلون بعد أن كاد العرب يظنون أن عصر التلون قد زال. . رفع الشعارات بعد أن كاد العرب ينسون عهد الشعارات. . أراد أن يغري الشارع «الرأي العام» بامتطاء صهوة الدين، وهو الذي قاد حكومة علمانية ليس في بياناتها ولا في عهودها أو مواثيقها إشارة خفيفة للدين. . تلكم الحكومة التي لم تتردد في أن تردد أنها ستقاتل الله ﴿**سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً**﴾. إذا ما خالف الله توجهها. . !! وكأنه أراد أن يضرب على «وتر» سبق للخميني أن ضرب عليه، ولا يزال نظامه يضرب عليه. . أراد أن يلهب

الحماس في الشارع العربي بدعوته إلى حماية قبر رسول الله ﷺ وكأن قبر رسول الله ﷺ معرض للخطر. . لقد سمع الشارع من نظام الخميني في طهران هذه اللهجة ولكن بلكنة فارسية. . فأعادها حاكم بغداد بلكنة عربية. ويقول القصيبي في «مرثية فارس سابق!».

درعنا كنت. ! وهذا درعنا حربة في ظهرنا شبت حريقاً

لقد جعله الشاعر فارساً سابقاً. . والشاعر يعلم أنه لم يكن فارساً. . ولكنه الشاعر الذي أراد أن ينطلق مما عرفه عنه الشارع. . لقد أراد هذا الشخص أن يصل إلى العظمة على أشلاء الجثث وبين أنهار من الدماء. . لم يكفه ما عمله بالشعب العراقي منذ أن بدأ حزبه يحكم العراق إلى اليوم. . أراد أن يدوس بدنسه بلاداً آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان. . فداس على هذه البلاد. . وروع أهلها الآمنين. . وشرد البيوت وأفرادها. . ولا يزال هؤلاء في جو من الذهول. . لا يصدقون ما جرى. . حقيقة كأن الناس في حلم. . ولا يشعر بالهول إلا من عاشه صباح يوم خميس من أيام الله في مطلع العام الهجري الجديد ومطلع العقد الأول من القرن الخامس عشر. . لم يصدق ذلكم الرجل الآمن في الكويت عندما خرج لصلاة الفجر أن يرى المسجد قد عيث فيه فساداً، فنهب منه الفرش والأجهزة الصوتية وأجهزة التكييف والمنافع الأخرى. . لم يصدق ذلكم المؤمن أن يعيث رجل عربي بمقدسات العرب المسلمين. . اليهود أنفسهم هم الذين فعلوا ذلك ويفعلونه ولا يفعله غير اليهود. . لا يصل بنا الأمر إلى هذا، ولكننا لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا إن اليهود لا تصل بهم الدناءة ـ وهم دنيئون ـ إلى هذا الحد. . وليس المقام للمقارنة. . ولكننا نتوقع من اليهود أي شيء ولا نتوقع من غيرهم شيئاً. .

لقد خرج الجنود العراقيون متجهين إلى فلسطين المحتلة فانتهى بهم المقام في الكويت . . كيف يحصل هذا؟ وما ذنب الجندي العراقي العربي المسلم يوضع في هذا الموقف؟ لم يلتقط أنفاسه بعدُ بعدَ جولة مع عدونا في الشرق، خاض معه حرباً دامت أكثر من ثماني سنين، فيزج في موقف صعب يحمله حقًّا إلى أن يدير سلاحه ولا يلام . . إنها الكويت وليست فلسطين المحتلة . . إن الرجال خارجون لصلاة الفجر وليسوا مصطفين أمام حائط المبكى المزعوم يهزون رؤوسهم في ترنيمات :

جيشنا كنت أجب يا جيشنا كيف ضيعت إلى القدس الطريقا؟ !

ثم يتحدث هذا الشخص عن الإسلام وكأنه أصبح في لحظة من أتقى أتقياء الله . . يهيب بالناس أن ينقذوا بيت الله الحرام وقبر رسول الله ﷺ وكأن مقدسات المسلمين قد وقعت تحت أيادي أعداء الله ونسي هذا الشخص ـ ولعله لم يذكر قط ـ أن مقدسات المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة قد حرمت على الكافرين . . فلا يدخلها غير مسلم معلوم كفره . . أم أن مدعي التقوى والورع والعودة إلى الله قد قادته هدايته إلى تكفير المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة . . ؟! وتكفير من وقفوا أنفسهم على خدمة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة؟! أليس هذا هو التخبط بعينه . ؟! أليس هذا هو التعلق بالحبال من غريق في محيط هادر . . ؟! أليس هذا تشبثا بالخيوط من هابط في هوة عميقة . ؟!!

لقد عشنا الإسلام أجيالاً بعد أجيال . منذ أن صدع به رسول الله ﷺ وأمتنا في هذه البلاد تنشر الإسلام . . لسنا بحاجة إلى من يعلمنا الإسلام من هذه النوعيات . . نحن بفضل الله نعلم الناس الإسلام . . تنطلق جحافل الدعاة من هذا البلد المعطاء علماً ومالاً وفكراً . . ولا تزال

تنطلق. . ليس الإسلام وقفاً على هذه البلاد. . ولكن أهل البلاد أهل الإسلام. . عرفوه علماً وتطبيقاً. . وعرفوا البعيدين عنه. . والإسلام لا يقبل التلون بين يوم وليلة. . نحن لانشق الصدور ولكننا لا نعمل بسذاجة. . لا نقبل من يهيننا في ديننا. . لا نسمع ممن يتهمنا في فهمنا لإسلامنا ومقدساتنا وواجبنا نحو مشاعرنا المقدسة. . ومن عاد إلى الإسلام فعليه أن يفهم الإسلام قبل أن يُفهمه للآخرين. . وفاقد الشيء لا يعطيه.

أهكذا يكون جزاء الذين وقفوا مع الرئيس في الشدة. . ؟! يحق للمرء أن يقول بملء فيه. . اتق شر من أحسنت إليه.

وأخذناك إلى أضلاعنا ... وسقيناك من الحب رحيقا

واقتسمنا كسرة الخبز معا ... وكتبنا بالدما عهداً وثيقا

فأين هذه العهود والمواثيق؟! أين أخلاق العرب في حفظ الكلمة والوقوف عندها والموت دونها؟! سهل على الشخص أن يدعي أي شيء. . وصعب على بعض الأشخاص أن يكونوا على مستوى ما يدعونه. . ولا يتقلب إلا الأفاعي. . والشخص يتقلب الآن وسيظل يتقلب. . وسيحاول أن يستغل الشارع. . ولكنه نسي أو أنه لم يذكر أن الشارع لم يعد يصدق. . حتى الشارع أصبح يعي ويزن ما يصل إليه ويتحقق منه ويناقشه. . فليس مع هذا الرئيس أحد. . حتى أقرب المقربين إليه. . قد انقلبوا عليه بعد أن انقلب عليهم. . نكبهم. . عصر قلوبهم. . وأراد أن يعصر مع قلوبهم قلوب الآخرين. . وكأن الجميع عصافير بين يدي وحش مفترس عبر عنه شاعرنا في هذه الجولة «بالعملاق» والعملاق كلمة كبيرة جدًّا على الرئيس:

ذلك العملاق ما أبشعه ... في الدجى يغتال عصفوراً رقيقا

أيظن الرئيس أن الأمر سيجري على ما يريد أو يخطط؟! ألا يعلم الرئيس أنه أمام رجال يقفون وراء قيادتهم؟! ألا يدرك الرئيس مدى العلاقة القوية بين الرجال وقيادتهم؟! إذا كان الرئيس قد عزل بأفعاله نفسه عن شعبه وعن أولئك الذين يحومون حوله، فلا يعتقد أن الشعوب الأخرى تتخلى عن قيادتها. ! يدرك هذا وأن يقارن بين ما هو عليه الآن. . اللحظة. . وبين ما هي عليه القيادات التي يفكر — حالما يفكر — في نزع الثقة منها من قبل أبنائها. . عليه أن يقارن فقط إن كان لديه وقت للمقارنة. . أو بقي فيه ذرة للمقارنة.

وثوب الإسلام واسع. . ولكنه لا يسع الدجالين. . فلم يفلح على مر التاريخ من حاولوا ادعاء الإسلام، أو حاولوا تطويع الإسلام لرغباتهم وتطلعاتهم وما يوسوس لهم به الشيطان. . فالذي يتعامل مع الإسلام يتعامل مع الله. . ومن ذا الذي يجرؤ على أن يخادع الله؟ تعالى الله عن مكر الماكرين وخداع المخادعين ودجل الدجالين. . لم ينجح المتآمرون على الإسلام. . فماضيهم يكشفهم وأفعالهم عند ادعائهم تدل عليهم. . فالأحرى بالرئيس ألا يمتطي صهوة هذا الجواد. . فسيلقي به الجواد أرضاً. . ولن تكون العاقبة حسنة. . وأي جواد غير هذا الجواد لن يقبل الرئيس؛ فقد عافته الجياد وتبرأت منه ظهورها. . وأي جواد غير هذا الجواد لن يصلح مطية للرئيس ولا غير الرئيس. . فلم تفلح الجياد الماضية والحاضرة ولن تفلح، إلا هذا الجواد الذي لا يمتطيه إلا فارس صادق مع الله، صادق مع الأمة، صادق مع نفسه. . وأين الصدق مع النفس، والصدق مع الأمة، والصدق مع الله في شخص الرئيس؟!

وبعد هـذا لا يستغرب المتـابع أن يدَّعي الـرئيس وأن يحاول الـرئيس . . ولكنه بعدما بدر منه في حق الكويت . . ثم في حق الحرمين الشريفين . . ثم في حق الإسـلام والمسلمين من شعب العـراق ، وغير شعب العـراق لن ينال من النـاس إلا هز الـرؤوس ورفع الحواجب . ورسم عـلامات الغضب والانتقام . . فـالرئيس فيما يبـدو قد وقع في مأزق ولم يعـرف كيف الخروج من المأزق . . ولن يقبل الـرئيس النصيحـة من أحـد و إلا لقيل لـه إن كنت تتحدث بـاسم الإسلام ، فاتق الله فـي نفسك ، واتق الله في شعب العراق ، واتق الله في إخــوانك الـذين وقفـوا معـك سـاعـة العســرة وزرعـوك على أجفانهم .

وزرعنـاك على أجفاننـا ونشرنا فوقك الهدب الوريقا

ولكن هذه نصيحة تقال للمسلم فيقبلها . . وتؤثـر فيه فيرعوي إن كان قد ضل ، فهل يرعوي الرئيس وقد ضل . ؟ ! !

مُسِخ الفارسُ لصًّا قاتلا مسخ الفارس كذاباً صفيقا

اليوم ينادي شركاءه.. أعيدوا.. أعيدوا !

بعد أكثر من مائتين وأحد عشر يوماً من احتلال الكويت يأتي الاستسلام المر. وكان جميع العقلاء ينظرون إلى هذا الاحتلال على أنه مهزلة . . وكان ثمن الخروج من هذه المهزلة ليس بالقليل .

★ أعداد لا تحصى من المصابين من قوات الاحتلال العراقي انضمت إلى الأعداد الأخرى التي خلفتها الحرب بين العراق و إيران . . هذا مقابل «٢٠٧» من القوات المشتركة في تحرير الكويت التي جاءت من ثلاث وثلاثين دولة .

★ وصلت أعداد الخسائر البشرية في الجانب العراقي بين ثمانين ألفا ومائة ألف جندي وضابط انتهت حياتهم على أرض المعركة دون أن يعلموا مبرراً واحداً لهذه المهزلة . . وهذا مقابل «١٦٥» من جنود القوات المشتركة . .

★ وصلت أعداد الأسرى في الجانب العراقي إلى مائة وخمسة وسبعين ألف جندي وضابط !! يفكر قسم منهم غير يسير بعدم العودة إلى العراق ما دام الحكم القائم الآن قائماً . . وهذا مقابل مائة وستة «١٠٦» من القوات المشتركة أعيد معظمهم إلى بلادهم ولا يزال جزء منهم مفقوداً .

★ خسر العراق مائة و إحدى وأربعين طائرة «١٤١» عدا تلكم الطائرات التي فرت إلى إيران دونما سبب واضح غير الأسباب التحليلية التي ذكر منها أنها كانت تريد قصف القصر الجمهوري في بغداد . . وهذا مقابل سبع وثلاثين طائرة «٣٧» للقوات المشتركة . .

★ بلغ عدد الدبابات العراقية المدمرة أربعة آلاف «٤٠٠٠» دبابة ودمر العراق مقابل هذا العدد دبابتين اثنتين للقوات المشتركة في تحرير الكويت .

★ دمرت القـوات المشتركـة في تحريـر الكويت ألفـاً وثمانمـائة وسبعاً وخمسين عربة مصفحة «١٨٥٧» . . ودمر العـراق للقوات المشتركة ثماني عربات مصفحة «٨» .

★ وقضي على ألفين ومائة وأربعين مدفعـاً «٢١٤٠» للعراق مقابل عدد لا يذكر للقوات المشتركة في تحرير الكويت ! !

★ وأغرقت القوات المشتركة ثلاثـاً وسبعين سفينة حربية للعراق . . ولم تتمكن القوات العراقية من إغراق سفينة واحـدة للقوات المشتركة في تحرير الكويت ! !

★ وأطلق العراق واحداً وثمانين صاروخـاً من طراز «سكود» سماها عبثاً وزوراً وبهتانـاً الحسين والعباس وحجـارة السجيل . . ومع هذا وزيـادة في المهزلة هنا نسمع إحدى الإذاعات العربية الموالية للحاكم في العراق تقول إن هذه الصواريخ أصابـت أهدافها بدقة في مدينة الـرياض . . «ثم عادت إلى قواعدها سالمة ! ! !» وقد وجهت هذه الصواريخ إلى البلاد الطيبة و إلى الأراضي المحتلة في فلسطين . . وكـانت نتائجهـا إصابات سعـودي واحد وأربعة عشر من الأردن وثلاثة عشـر من اليهود . . وحالات خفيفة بين إخوة من المقيمين في الرياض من اليمنيين والسودانيين والفلسطينيين والأردنيين وبعض السعوديين .

هـذه كلهـا ذهبت عبثـاً في مهـزلـة لن ينسـاهـا التـاريخ . . وهي أرقـام تستدعي التوقف الطويل . . وهي ولا شك مؤسفة . . لأنه لم يكن ليحدث كل هذا وربما أكثر من هذا لولا أن أراد الله تعالى للطغيان أن يعمل بالأمة ما عمل . . وسيمضي وقت طويل يأتي ـ بإذن الله ـ والنـاس العاقلون يخرجون من هذا الحدث بالعبر بعد العبر . .

وبعد هـذا كله يأتي الاستسـلام . . الانهزام . . الانصياع التـام للقرارات الاثني عشرة التي تتابعت في فترة قصيـرة معلنة أن الظالـم قد ظلم . . وعليه أن يدفع ثمن هذا الظلم .

ومن ضمن مـا يدفعـه الظالـم لقـاء ظلمـه في هذه الحيـاة التعويضـات للخسـائر التي سببهـا في غزوه للكـويت . . فيقـدم منـدوب العراق «عبـد الأمير» الأنباري قائمة بالمسلوبـات . . ويقدم مندوب الكويت قبله محمد أبـــو الحسن قـــائمـــة بـــالمسلـــوبـــات تقـــدر بمـــائة مليـــار «١٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠» دولار أمـريكي . . فيتصل الحاكم في العـراق بالشركاء في المؤامرة فيطلب من هذا خمسة وأربعين كيلو غراماً من الذهب ممـا سلبه من الكـويت . . ويطلب من ذلك مـائة ألف دولار أعطـاها إيـاه ليسكت . . ويطلب من ثالث سبائك ذهب اشتـرى بها الإعلام والأقلام . . ولكن هؤلاء كلهم وغيرهم مما سيظهر مع الأيام يعتذرون للحاكم في العراق بأنهم تصرفوا بهذه الرشاوي ، واستغلوا فيها الشارع ودفعوا منها لكل مشارك في مظاهرة تأييداً للعراق علبة سجائر (!!) وخمسة دنانير . فلن يستطيعوا أن يعيـدوا ما أنفق عليهم الحـاكم في العـراق . . وتنصلـوا منه . . وحملـوا مسئـوليـة الهـزيمـة والاستسـلام وحـاولـوا ، فقط حـاولـوا ، الالتفـات عنـه والالتفاف حـول دعاة الحق . . يـدغدغون العـواطف . . ويقدمـون فروض الولاء والطـاعة . . ويغيرون في النبـرة . . ويؤكـدون شيئاً لم يسمع منهم من قبل ، وهـو وقوفهم إلى جـانب الكـويت في محنتها!!! بـدليل أنهم زودوا العـــراق بـالســلاح والمــؤن!! ودعـوا إلى التطـوع في صفــوف الجيش العراقي!! . . والأدلـة الماديـة في هذه المهـزلة أكثـر من أن ينساهـا عاقل مظلـوم؛ لأنـه وقف إلى جـانب الحق والعـدل ، ولسان حـال المظلـومين المعتـــدى عليهم يقــول لهـــؤلاء الملتفين المشتــركين في الظلـم وفي المؤامرة : لات حين مندم . . وهيهات أن يندمل الجرح العميق . .

ثم في الأخير يلتف الحاكم في العراق حول أولئك الذين برزوا له من أبناء العراق، فيعتذر لهم ويأسف لتأخر «الديمقراطية» في العراق!! لانشغاله هو بحرب العراق وإيران ثم حرب الخليج.. ويدعو الفئات المعارضة إلى الجلوس معه!! سويًّا لحكم العراق.. وتبدأ عبارات التعددية الحزبية وإشراك الشعب في الحكم.. وكأنها حبال في محيط هائج يحاول غريق أن يتشبث بها وهو بعيد عن البر.. أو كأنها فروع تتدلى في وحل يبتلع كل ما يقع عليه فيحاول الظالم التعلق بهذه الفروع.. ولكنها تلحق به في الوحل.. أو كأنها خيوط العنكبوت يتعلق بها ساقط من علو ساحق.. وإن أوهى الخيوط لخيط العنكبوت!! وما زادت هذه «المبادرة» من حاكم العراق إلا الضحكات المعهودة التي كان العقلاء يرمونها كلما ظهر الدكتاتور بمبادرة لا يعرف فحوى مصطلحاتها.. وهو ذلكم الشخص الذي يتعامل مع أفراد حكومته بمسدسه.. لغة يتقنها ويعرف كيف يعبر بها..

لقد ولى زمن الشعارات ولعل العقلاء قد اعتبروا.. ولعل الغافلين قد انتبهوا.. ولعل المخدوعين قد تيقظوا.. ولعل الضالين قد اهتدوا.. ولعل المتشككين قد تيقنوا.. ولعل اللاهثين قد تريثوا.. ولعل المتعجلين قد تباطأوا.. فالعراق اليوم مطالبة بالتعويضات وهي كثيرة.. وهي مطالبة بإعادة البناء في الداخل وهذه لن تقل تكلفتها عن مائتي مليار دولار «٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠» أمريكي.. وهي ستظل تحت وطأة الحصار الاقتصادي المفروض عليها دوليًّا.. فكيف للعراق أن تصل إلى هذه الأرقام؟! كيف للحاكم في العراق أن يكفر حماقاته وقد استند على مجموعة من الشركاء أنفقوا كل ما أنفقه عليهم حال ما أنفقه عليهم.. وهو في مقابل هذه الأرقام زهيد.. لقد اعتمد الحاكم في العراق في أحكامه كلها على العميان، وقد ضل من كانت العميان تهديه.. وليس أسوأ عمى من عمى البصيرة..

في العراق.. لا وقت للعواطف..!!

القـرار الذي صـدر أخيراً عن مجلس الأمن يمثل القـرار الرابع عشـر في حق العراق، البلد العربي المسلم شعباً، الذي من قَدَره أن يُرزأ بنظام قضى على خيراته ودفع إلى الوصول إلى الأحكام التي صدرت في القرار رقم ٦٨٧ الصادر في الثامن عشر من شهر رمضـان المبارك الموافق للثالث من إبريل ١٩٩١م.

وبعيداً عـن الوقوف علـى بنود القرار ينبغـي الوقـوف وقفات طويلـة مع العـراق شعباً لا نظـاماً. . وبعيـداً عن العـاطفة والتعميم، ينبغي أن ينظـر للشعب العـراقي أنه جـزء لا يتجزأ من الـوطن العـربي الكبير، ومن العـالم الإسلامي الأكبر. . فالعراق معروف تاريخاً بإسهامه في الحضارة الإسلامية التي انطلقت من الكـوفة والبصرة وبغـداد. ويكاد النحو العـربي يصل إلى قمته بين الكوفة والبصرة وتكون الأمصار الأخرى عالة على هاتين المدينتين العلميتين. . ومعروفـة بغداد في نهضتها العلميـة الثقافية الحضـارية، في مكتباتها ومجالس علمائها وولاتهـا وخلفاء المسلمين فيها وأسواق الوراقين فيها. .

ويمتد بنا التـاريخ وتستمر إسهامات العرب في العـراق في مدِّ الحضارة الإسلاميـة إلى الشرق والغـرب على السواء. . وتكـون الأندلس بحضـارتها المعهودة عـالة على المشرق حتى يقـول عالم في المشـرق يستقبل أحمال الكتب من الأندلس: هذه بضاعتنا ردت إلينا. .

ويشاء الله أن يحـلَّ بالعراق مـا حلَّ بها مـن نكبات بدأت تخصيصـاً مع بداية السبعينـات الهجرية/ الخمسينات الميـلادية. . وتتأجج هذه المحن

على الشعب في العراق حينما تتوالى عليه الأنظمة التي لم تكن لتتوافق مع طبيعة الأمة في العراق، إلى أن تصل هذه الأنظمة بالشعب في العراق إلى بنود القرار رقم ٦٨٧ الصادر عن مجلس الأمن . .

وقد كُتب الكثير عن المحنة التي امتدت بالشعب العراقي إلى الزج به في احتلال الكويت . . ويحصل من «بعض» العراقيين ما يحصل من نهب وسلب وهتك للأعراض . . ويعمد البعض إلى التعميم في الأحكام . . وأن ما حصل إنما حصل من كل العراقيين الذين دخلوا الكويت، وأنه إنما حصل من العراقيين فقط . . وكأن العراقيين جميعاً قد تحولوا إلى وحوش كاسرة . . كأنهم جميعاً يحملون الحقد على إخوانهم العرب والمسلمين في الكويت، وفي غير الكويت . . كأنهم جميعاً يمثلون النظام الذي أخطأ في تقديرنا باحتلاله الكويت خطأ ليس مقصوراً على الكويت، بل خطأ شاملاً الأمة العربية والإسلامية، بما فيها الشعب العربي المسلم في العراق . .

وينبغي لكل من يكتب أو يحلل ألاَّ يخرج العراق شعباً من هذا المفهوم . . فالذين أكدوا على الأضرار بعيدة المدى إنما أدخلوا فيها الأضرار التي حلَّت بالشعب في العراق من حيث كونه جزءاً من الأمة التي حلَّ بها هذا الضرر . . ولا يستطيع امرؤ أن يخرج العراق من الانتماء العام الذي يجمعه بالعالم العربي والإسلامي . .

ومن مساوئ التعميم الذي وقع فيه بعض الكاتبين عندما لمز الشعب العراقي لمزاً جاء غير مقصود ـ وهذا ما نظنه ـ أو جاء مقصوداً ـ وهذا ما لا نبغيه ـ من مساوئ التعميم :

أولاً: نزع الشعب العراقي من خلفيته التي قام عليها قبل سيطرة هذه الأنظمة الوضعية عليه .

ثانيًا : نـزع الشعب العراقي من استمراره على انتمائه العـربي والإسلامي وأنه لا يزال ـ وسيظل ـ جزءًا من هذا الكيان الذي لا يزال يسعى إلى الوقوف على قدميه بعد زوال فترات الاستعمار وحلول الالتفات إلى البناء والنماء .

ثالثًا : نـزع الشعب العراقي من قدرته على التفكير ووزن الأمـور، واتهامه بأنه شعب تنفيـذي للنظام الـذي فرض عليه بـالقهر أحيانًـا والإغراء أحيـانًا أخـرى . وما علم المعممـون أن هناك مـوجـات سخط في الشارع العـراقي تنتظر اللحظة المناسبة للخروج . . فخـرجت ـ أو خرج شيء منها ـ بعد أن حلت لحظة من اللحظات المناسبة .

رابعًـا : وهو متـرتب على الثـالث إعطاء الإنطيـاعـة أن بين الشعب في العراق والبلاد الأخرى شيئًا من العـداء أو الشحناء أو الثأر القديم . . وهذا غيـر وارد، فليس بين هذا الشعـب والبلاد الأخـرى إلا الـوئام الذي حـالت الأنظمة المفروضة في العراق دون التصريح به وتطبيقه على أرض الواقع .

ونحن بالمتـابعة نـدرك تأكيد القيادة في هـذه البلاد وفي البـلاد الأخرى التي كـانت هدفًـا للنظام في العـراق على أن شعب العراق ليس ممثـلاً في قيـادته التي تصـرفت هـذا التصـرف في الكويت، وعـزمت على مثيلـه في البـلاد العـربيـة السعوديـة ومنطقـة الخليج . . ونحن قـادرون ذهنيًـا على الفصل بين القيـادة والشعب في العراق؛ لأننـا نـدرك أن أخلاق العـراقيين عربًا ومسلمين لا تقر مثل ما حصل في الكويت . . ولا دليل لمن يقول إن ما حصل في الكويت كان على أيـادي العراقيين . . وعلى من يقول هذا أن يدرك أنه هنا يغلب العاطفة في حكمـه التعميمي هذا . . وعليه وهو يتذكر القصص السلبيـة من الشعب العراقي في الكـويت ويذكـرها للآخـرين أن يـذكر ويتـذكر كـذلك القصص الإيجـابية التـي أملتها المـروءة الإسلاميـة

والكرامة لعربية على بعض العراقيين في الكوين عندما أكدوا أنهم مرغمون على ما قـامـوا بـه ، وأنهم كـان الكثيـر منهم مضلليـن في وجهتهم إلى الكويت ، وأنـه قد قيل لهم إنهم ذاهبون في مناورة أو ذاهبـون لقمع فتنة في الكـويت ، أي لم يُقل لهم إنهم ذاهبـون لاحتـلال الكويت . . وعلينـا هنـا أيضاً أن نبتعـد عن المثـالية وأسئلـة التعجيز الاعتـراضية ، فـالناقـد بصير ، وليس من يتلقى الأوامـر العسكرية في قـدرته على الاعتـراض مثل من أوتي الوقت لإنشاء الأسئلة الاعتراضية .

وإذا ما أدركنا الظرف الذي وضع به الشعب العراقي قدَّرنا شيئاً مما أجبر عليه هـذا الشعب وهو كاره في مجمله ، فقـد أصبح الناس هناك في حـالة عجيبة من عـدم الاستقرار وعدم الأمـان أدى بكثير منهـم إلى أن يـوازنوا بين المصالـح والمفاسـد ، خصوصا إذا كـانت المفاسـد لا تقتصر علـى الفرد المخالف للنظام ، بل تمتد إلى زوجه ووالديه وأهله وعشيرته . .

والشعب في العراق مثل شعوب العالـم كلها فيه وفيه . . ومـمـا فيه فئة من النـاس استفـادت من الوضع فـائدة مبـاشـرة ، فـدعت إليه وأكـدت عليـه وجهَّلت من يـدعو إلى غيـره أو من يتبنى سواه . . وممـا فيه فئة مـن الناس مقتنعـة بهذا النظـام تعتقد أن فيـه الخـلاص ليس للعراق فـحسب ، وإنمـا للأمـة العربية كلهـا فكان من هذا الخلاص مـا كان . . ومما فيـه فئات من الناس لا ترضى عن هذا كله . .

وبعيداً عن المثاليات يجدر بنا جميعاً عدم التعميم في أحكامنا ، فليس من مصلحتنا العربية الإسلامية أن يفقد بعضنا بعضاً بسبب تصرفات أنظمة دخيلـة علينـا ، ونظل أمـة واحدة تحـاول أن تطـرد عنهـا الغبـار وأن تتعلق بالفضيلـة ، وأن تجد مكانها بين الأمـم ، فتكون خير أمة أخـرجت للناس ،

تأمر بـالمعروف، وتنهى عن المنكـر، وتؤمن بـالله وبالميـزان القسط الذي فرضه الله وأملى على الأمة أنـه لا تزر وازرة وزر أخرى . . ويصدق هذا على الأمة جميعـاً، بغض النظر عن التصنيـف المكاني والصبغـة المحدودة . . وقلوبنـا جميعاً مع الشعب فـي العراق . . ولنا معهـم موعد نلتقي فيـه على الحق والعدل نتعاون فيه وله، وكان الله في عون الجميع .

جلسات مع ضيوف البلاد..!!

كانت لي جلسات محدودة مع مجموعة من الأسرى العراقيين الذين عدتهم المملكة العربية السعودية ضيوفاً على البلاد . . وقد لمست من خلال المعاملة أن هؤلاء لم يكونوا سوى ضيوف . . فمعاملتهم والتخاطب معهم والتفاهم لم يتعد هذا المفهوم . . وقد عملت قواتنا المسلحة على حسن استضافتهم بقدر ما توافر لديها من إمكانات تشمل العدد غير اليسير من الضيوف . . وسمعت شيئاً من التخاطب . . ورأيت من توفير متطلبات الحياة الكريمة لمن يعدون في مجتمع آخر أسرى حرب لهم معاملة خاصة ، قد تقوم على الإهانة باليد أو اللسان أو الحرمان من متطلبات الحياة الضرورية . . بل ونزع أشياء من خلق الله في هذا الإنسان كيده أو عينه أو لسانه .

وكنت مطمئناً إلى أن مثل هذا لن يحصل لضيوف البلاد ، نظراً لما تمثله البلاد من تطبيق لشرع الله في كل شأن من شؤون الحياة . . وكنت مطمئناً كذلك إلى ذلك عندما سمعت المسؤولين العسكريين يؤكدون للصحفيين المحليين والعرب والأجانب إلى أن معاملة الضيوف هؤلاء لن تخضع لاتفاقيات جنيف «فحسب» ، بل هي قبل ذلك تخضع لتعاليم ديننا الحنيف . . وهذا ما لمسته أثناء وجودي مع هؤلاء الضيوف أتجاذب معهم أطراف الحديث وأذكرهم فيه ببعض المفهومات التي لم تكن جديدة عليهم .

وهذا اللطف في المعاملة والتبسيط في الحديث جعل الكثير منهم يتوسع في الطلبات ويسأل عن أحكام في الشرع لم يكن أسيرٌ ليسأل

عنها . . وما هذا إلا انعكاس لمدى ما شعر به الضيوف من الاطمئنان الذي أكَّد عليه من القيادة العليا . . بل إن بعضهم لم ينس وهو في شهر رمضان المبارك أن يعطي أحد الإخوة مبلغاً من المال بالعملة السعودية ويطلب منه أن يتصدق به لوجه الله تعالى ، ولم ينس جزء غير يسير منهم المطالبة بنسخ أخرى من القرآن الكريم بالحجم العادي بعد أن وزعت عليهم نسخ من مصحف الجيب . . ولم ينس آخرون أن يسألوا عن رياض الصالحين وكتب أخرى يستفيدون منها فترة إقامتهم في البلاد . . وطلبات مثل هذه أخرى كانت معقولة وميسورة وسريعة التنفيذ ؛ لأنها كانت في حدود الإمكانات المتوافرة . .

وكنت أستنتج من المشرفين على راحة الضيوف رغبتهم في تقديم خدمة أفضل حتى ينفذوا التعليمات ، وحتى ينفذوا المبادئ التي قامت عليها هذه التعليمات وأكسبتها التعليمات هذه القدرة على التنفيذ بعيداً عن الاقتصار على مجرد التعليمات النظرية التي قد لا تخرج أحياناً وفي بعض الأنظمة الأخرى عن دفتي الكتاب الذي سطرت فيه . .

إننا نقول هذا ونحن نؤكد أن الغرض من هذا ليس اقتران هذه المعاملة بشيء من المنة ، وليس لنبين للناس المنهج السليم المطبق على الواقع في التعامل مع الأشقاء وإن بدر منهم ما قد يوحي بأنهم موافقون على هذه المحنة التي مرت بها المنطقة ، مع أن انطباعة من الانطباعات التي خرجت بها متأكداً منها وكنت أعلمها من قبل أن جزءاً غير يسير ممن اشتركوا في هذه المحنة إنما اشتركوا فيها لأنه قد أملي عليهم أن يشتركوا فيها ، وليس اشتراكهم فيها بالضرورة عن قناعة منهم ورغبة . . وهناك أحداث كثيرة تثبت هذه الانطباعة ربما تسجل جميعها يوماً ما في وثائق علمية تشهد على ذلك . . وهذه انطباعة واحدة من هذه الجلسات قد تتبعها وقفات لانطباعات أخرى .

جلسات مع ضيوف البلاد «٢»

في معرض الحديث مع ضيوف البلاد من أسرى الحرب العراقيين قال لي أحد الضباط بنبرة فيها العتاب: إنكم أيها الكتاب قد جنيتم على العراق شعباً، فنحن لسنا جميعاً كما صورتمونا في أحاديثكم ومقالاتكم.. ونحن في إقامتنا هذه نقرأ الصحف السعودية ونجد فيها اللمز من بعض من يكتبون..

وكان ردي عليه أن هذا لم يكن طابع جميع الكتاب، فالذين لمزوا الشعب العراقي إنما اتبعوا أسلوب التعميم الذي يقع فيه غالب المندفعين عاطفيًّا وراء استنكار حدث جلل، كالذي حصل للكويت. ولم أكتب يوماً عن الشعب العراقي بالصورة التي صورها الضابط الضيف. ولم أقرأ هذه النبرة في كتابات كثير ممن كتبوا، وذلكم لأمرين:

الأمر الأول: أني أظن أننا مبدئيًّا نؤمن بأن الشعب في العراق هو امتداد للشعب العربي وللأمة الإسلامية مهما مرت عليه من ظروف أوصلته إلى أن ينظر إليه تعميماً على أنه المسؤول عما حدث للكويت، أرضاً وشعباً وسيادة. وما هذه الظروف التي يمر بها العراق وتمر بها بلدان أخرى في العالم الإسلامي إلا جزء من ابتلاء كبير يريد الله تبارك وتعالى من ورائه ما يريد. وهذا الأمر يحتاج إلى سعة في الحديث، فأترك التفصيلات حوله مكتفياً بالإشارة إلى أن لله في خلقه شئوناً.

والأمر الثاني: هو أن القيادات العربية في الخليج العربي ووسائل الإعلام الرسمية في الخليج دأبت على التأكيد على أن ما حصل للكويت لا

لا يعني بالضـرورة الرضا التـام من قِبَل العراقيين جميعـاً ؛ لأن من العراقيين نسبـة ليست بالقليلـة ليست راضية عـن الوضع الـذي وصلت إليه العـراق تحت نير الحكم البعثي الظالم لنفسه ولشعبـه وللأمـة ، وعليه فإن الشعب العراقي لا يتحمل وزر قيادته ، وإن وجود نمـاذج تؤيد ما ذهبت إليه القيادة في العـراق فإنما هي فئـة تتعاطف مـع النظام نفسـه وتؤمن بمبـادئه إيمانـاً صادقاً ، أو إيمان المخدوعين أو إيمـان المنافقين المنتفعين ، وهذه أقسام للفئة التي بـاركت ما وصلت إليه العـراق من حال ، وما وصلت إليـه القيادة في العـراق مـدفـوعـة بمبـادئهـا إلى هـذه المغـالطـات فـي المـواقف والمفهومات .

والعراق الـذي يعيش حالـة من الفوضى اليـوم إنما يريـد الوصـول بهذه الحـال إلى الأفضل بعـد أن يتـم التخلص من الشـوائب التي طغت على المعدن الصافي الذي يجده المرء في كثيـر من أبناء العراق ممن تربطهم به علاقة زمالة أو صداقة أو أخوة .

ولا يصل الـرد على الضـابط العراقي الضيف علـى البلاد إلى استخـدام أسلوب الدفـاع رغبة في التلاقي ، فإننا في موقفنا هـذا لا نبرر الأخطاء التي وقعت في الكـويت ، وقـام بها فئـة من العـراقيين ، فهـذه مسجلـة معروفـة تتحمل وزرها أولاً القيادة العراقية التي يبدو أنها شجعت على ما حصل ولم تردع المخالفين إلا لذر الرماد على العيون .

والتصـرفات التي حصلت لم تكـن تصرفـات فرديـة منعـزلة فقـد عمَّت الكويت حالـة من السطو الصريح والقتل العلن واستباحـة الأعراض جهاراً مما ينم عن بواعث في النفـس كانت كمينة ، فجاء الجو الـذي تظهر فيه ،

فهذا أمر قد حصل وساعدت في حصوله ظروف أرى أنها لا تخفى على المتابعين.

ومع هذا كله فإننا مدعوون جميعاً إلى عدم التعميم في أحكامنا؛ لأنه ليس من مصلحتنا أن نخسر شعباً كالعراق أو أي شعب آخر تربطنا به روابط عميقة الجذور، والأحرى بنا أن نرفع أكفنا إلى السماء داعين الله تعالى أن يزيل الغمة عن كل من تأثر بها داخل العراق وخارج العراق. ودعاؤنا لا يقف عند حد فنحن ندعو القادر العليم، ولذا فإننا نتوسع في الدعاء للأمة جمعاء بوحدة المنطلق والهدف، وأن يهيئ لها أمر رشد، يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر. ومع هذا الدعاء نتصور بإيمان أن الإجابة ممكنة، فلا يكون دعاؤنا مجرد ملجأ لنا نتعزى به في حالة الشدة. فأكثروا من الدعاء وأيقنوا بالإجابة، وكان الله في عون الجميع.

لا وقت للابتزاز

قامت سياسة هذه الدولة على الحب والإخاء والحرص على توطيد علاقات قوية مع الدول العربية والدول الإسلامية ومع كل دولة تحترم المنطلقات التي قامت عليها سياسة هذه البلاد. وقد مر هذا الأسبوع ستون عاماً على قيام المملكة العربية السعودية على هذه المبادئ الواضحة البعيدة عن كل ما من شأنه أن يفرق بين الأمم. وليس هذا المبدأ مقصوراً على عرف جار أو سياسة معلنة، ولكنه تخطى هذا إلى التطبيق العملي الذي بدأه الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - في طرق سبل ووسائل الوحدة مع أشقائه في الدول العربية والإسلامية، وامتد الحال على هذا المنهج، وكان للملك فيصل - رحمه الله - جهود تذكر في مسيرة التضامن الإسلامي، ولا تزال القيادة إلى اليوم تسعى إلى تحقيق هذه الأهداف قولاً وفعلاً.

وعندما خاض العرب حرباً مع اليهود في فلسطين المحتلة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م في العاشر من رمضان/ السادس من أكتوبر اتفق العرب على الاستمرار في أن يكونوا كلمة واحدة ترجمت من خلال استعمال سلاح النفط حيث كانت هناك فترة حظر على تصدير النفط للدول التي وقفت مع اليهود. وكانت هناك أيضاً كلمة للملك فيصل - رحمه الله - أكد فيها أننا في المملكة العربية السعودية على استعداد للعود إلى الخيام والأنعام والتمر إذا ما استدعى الأمر ذلك، على أن تبقى معنا كرامتنا شامخة متصدية لأي شكل من أشكال الابتزاز وكانت كلمة أكدت ما لدى القيادة من العزم والتصميم.

ومنذ اجتياح قوات نظام العراق للكويت في الحادي عشر من محرم الحرام ـ أحد الأشهر الأربعة الحرم ـ وقفت المملكة العربية السعودية مع الحق، ودعت إلى الحق، وسعت إلى الحق مستعينة بالحق تبارك وتعالى، ولم تجامل في هذا قريباً أو بعيداً وأعلنت موقفها من هذا الاجتياح وطالبت بالانسحاب الفوري من الكويت تمهيداً لاستكمال المفاوضات التي بدأت في جدة في العاشر من شهر محرم ١٤١١هـ الأول من الشهر الثامن من عام ١٩٩٠م، والمملكة حريصة على الاستكمال وتملك من المقومات ما يجعلها تعين على سريان المفاوضات سرياناً يرضي الطرفين. ولا تزال القيادة تسعى إلى هذا الهدف النبيل ولم تقفل الأبواب في وجه أحد، ولم تغفل جانب التفاؤل في حل هذه الأزمة سريعاً.

ومع هذا الحرص الأكيد والشديد على هذا الجانب إلا أنه لا يعني التنازل عن الشرط الأساسي في انسحاب القوات المعتدية إلى ما كانت عليه قبل الحادي عشر من محرم ١٤١١هـ وعندئذ يبدأ البحث في الضمانات التي ترى المملكة ضرورتها عمليًّا بعد أن لم يصبح للكلمة والتأكيدات اللفظية مصداقية لدى أولئكم الحاكم في العراق، الذي أساء إلى من كان يدعوهم بالأحباب، وأساء بالتالي إلى المجتمع الدولي بعامة، وإلى دول العالم الثالث بخاصة، وهي التي تدفع ثمن هذا الاجتياح ـ الآن ـ ليس على مستوى الرعايا الموجودين في الكويت والعراق فحسب، ولكن أيضاً على مستوى مشروعات تنموية وعلمية وزراعية واجتماعية قضى عليها الحاكم في العراق حينما اجتاح الكويت. ولعل هذا كان من الدوافع ـ ولو البعيدة ـ التي سعى إليها.

ومنذ اجتياح العراق بنظامه المتسلط على الكويت وحاكم العراق ينتقل من حركة إلى أخرى يضحك منها البعيد ويهزأ بها القريب . . وهي حركات كثيرة ، لعلها تحصر في عمل مستقل وتحلل تحليلاً علميًّا سينتج عنه نقاط تدلل على نوعية وطبيعة شخصية الحاكم في العراق وما يؤمن به من مبادئ غريبة يسعى إلى فرضها على الآخرين بالقوة .

ولعل آخر هذه الحركات الإعلان عن مجانية النفط العراقي (!) وتكفي علامة التعجب مؤوَنة التعليق . . ومن آخر الحركات التهديد الأخير الذي ظهر أول هذا الأسبوع بضرب منابع النفط في دول الشرق الأوسط وضرب اليهود في فلسطين المحتلة . وهذه الحركة امتداد في جزء منها إلى التهديد بالقضاء على نصف اليهود في فلسطين المحتلة قبل أن تتجه قوات العراق إلى الكويت . وهنا تحضرنا عبارة الملك فيصل ـ رحمه الله تعالى ـ من أننا مستعدون للعيش على الماء والتمر في الخيام من أن نخضع للابتزاز. فلا وقت للابتزاز اليوم . وليست حياتنا معلقة على أشياء مادية يستطيع إنسان في هذه الدنيا أن يهددنا بها أو يستغل بها كرامتنا ومبادئنا التي قامت عليها بلادنا .

ولعله من الحكمة أحياناً عدم التعليق على كل حركة يظهر بها علينا الحاكم في العراق ، فإنها حركات كثيرة توحي بشيء من اليأس الذي بدأ يسري في القيادة هناك . ولا شك في أنه ظهرت أو ستظهر حركات أخرى في دغدغة للعواطف بعد حركات فيها إلهاب للحماس . ومن حركات دغدغة العواطف الاعتذار عن اقتحام السفارة الفرنسية في الكويت ، بينما كان ينبغي الاعتذار عن اقتحام الكويت كلها . ولعل من حركات دغدغة العواطف الرسالة التي وجهها الحاكم في العراق إلى الشعب الأمريكي

الذي خاطب فيه خلفيته الدينية عندما عدد له عدد الكنائس في العراق، وعدد النصارى، وعدد اليهود في العراق. وهو الحاكم الذي آمن بالعلمانية ربًّا لا شريك له.

ولا غرابة في هذا الاستغلال، فقد استغل المسلمين حينما نصب نفسه إماماً من أئمة الإسلام يدعو إلى مبادئ إسلامية، كالجهاد مثلاً وإنقاذ الحرمين الشريفين من الحكومة التي جعلت من خدمة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة هدفاً أسمى من أهدافها التنموية. وكأنه أراد أن يهدم ما يعمره الرجال من مساجد الله بعد أن هدمها في العراق والكويت.. وهيهات له ذلك.. وهذه دغدغة أخرى للعواطف لم تنطلِ على العاقلين وإن كانت قد وجدت شيئاً من القبول الظاهري لدى بعض أولئك الذين جعلوا من الدين مطية يحققون من خلالها أهدافاً ذاتية أو حركية.. وما عهدنا علمانيًّا قد نسف الدين وأهان رجاله وغربهم وانتقم من ذويهم يسعى إلى أن يدعو إلى مبدأ من مبادئ الدين.. ولكنها الفتنة تعمي البصائر.

وكان من نتائج هذه الحركات التي يظهر بها الحاكم في العراق كلما عنَّ له ذلك أن برزت على السطح تلكم الظاهرة الموجودة في الأصل حينما التف الشعب هنا مع ولي الأمر ولبى نداء الواجب للدفاع عن الوطن وما يقوم عليه من مفهومات عريقة تضرب قواعدها عبر التاريخ الذي يمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. فهب الشباب الرجال يتسارعون إلى ميادين التدريب والتجنيد ليكونوا مستعدين لحماية الجبهة الداخلية من جهة وحماية البلاد على الخطوط الأمامية من جهة أخرى إلى جانب جيشهم المؤمن بالله، ثم بولائه لولي الأمر والوطن. هؤلاء هم الشباب الذين قيل عنهم ما قيل في وقت مضى من أولئكم الذين وسموهم بالترف

والرضوخ إلى الدعة والميل إلى التنعم ونبذ خشونة الرجال، امتلأت بهم الميادين. . وظهر للحرب رجال كما نقول في موروثنا الشعبي. . ويؤكدون أنه ليس هناك شخص يملك أن يهدد وجودنا بإطلاقه عبارات التخويف في حقنا وفي حق سر وجودنا. . ويضرب الشباب المثل الحي الواقعي لما يتوقع منهم، ولا يزالون يضربون هذا المثل الحي، إذ لا يزال الإقبال مستمراً. . ولا يزال الإصرار قائماً.

ونحن أمة نحب الموت كما يحب غيرنا الحياة. . وننظر إلى ما بعد الحياة، كما ينظر غيرنا إلى ما بهذه الحياة. . ولا نجد في الموت قطعاً للآمال والتطلعات، وإنما نجد فيه خطوة نحو هذه الآمال والتطلعات التي كتب لها الاستمرار. . وعلى الآخرين أن يدركوا هذا ليدركوا معه أن هذه الحركات إنما تزيدنا قوة وإصراراً وعزماً وتصميماً والتفافاً حول قيادتنا التي سارعت لتضرب لنا المثل في العزم والتصميم والإصرار. . ولم تقف في الصفوف الخلفية كما هي عادة الجبناء. ولا نزال نذكر العهد الذي تتمسك به القيادة من أنه إذا دق ناقوس الحرب وجدناهم جميعاً في مقدمة المنافحين عن أرض المبادئ والمثل السامية حيث يكون للحرب معنى ولها غاية ونتائج.

ومن جهة أخرى يجد المراقب من هذه الحركات التي يظهر بها حاكم العراق بين الفينة إنما تعبر عن الحالة البائسة التي يعيشها في شخصه ويعيشها نظامه، مما يوحي بأن هذه الحركات لا بد أن تقف عند حد حينما تضيق الحيلة وتنفد الحركات. . وإذا نفدت الحركات نفد النظام الذي قام على مثل هذه الحركات، حينما يعي الناس حقيقة هذا النظام، ويتجاوزون فترة ترديد الشعارات التي رددها النظام ويرددها الآن. . فانخدع

بها البعض وتبنوها على حساب العقيدة القائمة على دين رباني لم يكن للإنسان عليه تسلط في يوم من الأيام .

ويجد المراقب نتيجة هذه الحركات البائسة ما يحدوه إلى التمسك بالمبادئ التي يؤمن بها تمسكاً فيه الإصرار والإعزاز؛ لأنه يجد في هذه المبادئ الأمان الروحي وما يتبعه من أمان في النفس والوطن ، ويجد أن جميع الحركات التي تستبعد هذا المبدأ إنما تؤول إلى البؤس الذي آلت إليه الحركات سابقاً وتؤول إليه الحركات لاحقاً . . ويجد الثبات في هذا المبدأ المستمر رغم تعاقب القرون من الزمان ؛ إذ أراد الله له أن يكون قابلاً للتطبيق المطلق دون النظر إلى الزمان أو الوجهة أو الجيل الذي يطبقه . . وتزيد هذه الحركات من اقتناع المرء بهذه المبادئ التي تنطلق منها سياسة هذه البلاد وهي تطبق الشريعة في نظام حياتها ، وبعض البلاد الإسلامية الأخرى التي لا تكتفي بإعطاء الحرية في العبادة للشعب ، ولكنها تسعى إلى تطبيقها في صنوف حياتها كلها . . وتزيد هذه الحركات من الإدراك أن الزبد يذهب جفاء ، وأن ما ينفع الناس يمكث في الأرض ، وأن الباقيات الصالحات خير، ولا استمرار ولا بقاء للظلم والبغي والمنكر والفحشاء بأي صورة من صورها ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ومن كان هذا منطلقه لن يضيره الابتزاز من أي مصدر جاء ، ولن يزيده الابتزاز إلا فخراً بما هو عليه من وضوح في المنطلق والغاية ، وهذا سيجره إلى أن يُشعِرَ الآخرين بما هو عليه من يقين لا يريده وقفاً عليه ، ولكنه يسعى إلى أن يشعر به هؤلاء الآخرون .

وقفة مع أزمة الرهائن

إن الإصرار المستمر على خروج العراق من الكويت وعودة الأمور في الكويت والعراق إلى ما كانت عليه قبل الحادي عشر من محرم الحرام ١٤١١هـ الثاني من شهر أغسطس ١٩٩٠م أضحى مطلباً دوليًّا تعارفت عليه دول العالم كلها دون استثناء يذكر، عدا حالة أو حالتين ظنتا أنهما تنتفعان من هذا الغزو الجائر. وعليه فإن تأكيد زعماء الدول المتقدمة على ضرورة الانسحاب إنما هو يدور في هذا المفهوم الذي هو وحده كفيل بأن لا تتفاقم الأزمة فتودي بالمنطقة إلى هاوية هي قادرة على ردمها وتخطيها لو تنازل المرء عن عناده وتطلعاته التي لا يقرها المجتمع المتحضر، بل لا يقرها مجتمع ليس له أي نصيب من الحضارة.

أما أن يعمد الرئيس العراقي إلى استغلال الأعراف الدولية المتمثلة هنا في وجود مندوبين رسميين لدول لها علاقة بالعراق فيستخدم هؤلاء درعاً بشريًّا يقف مواجهاً لأي هجوم متوقع فإن هذا الإجراء نفسه دليل حيوي على بعد هذا التصرف عن أي ذرة من الإحساس بالانتماء إلى هذا العالم المتقدم. فهؤلاء الرهائن الذين يحتجزهم الرئيس العراقي في بلاده ـــ كما يحتجز بلاداً بأكملها ـ يخرجه ويخرج سياسته عن التمشي مع محاولات التقريب في المجتمع الدولي، ورسم نظام مدني تكفل فيه حريات الناس من أبناء الوطن ومن الآخرين الذين يمثلون بلادهم في هذا الوطن، أو الأشخاص الذين جاءوا يبحثون عن لقمة العيش ويعينون في بناء العراق من الداخل بعد أن حُشِدَ أبناؤه على الجبهات الشرقية والجنوبية ثم

الشمالية والغربيـــة. وليس من طبـاع الإنسـان ـ أي إنسان ـــ أن يقابل هذا بحجز الناس الآخرين وخرق كل أملٍ في اللقاء.

ويزداد الأمر سوءاً في هذا المجال عنـدما يتوقع من البعيدين أن هذا كله يحدث باسم الإسلام، أو يحدث باسم العـروبة التي تبناها الرئيس العراقي منذ أن اغتصب الحكم على العراق. والغريـب أن مشكلة الرهائن قد تؤخذ على أنها إجراء إسلامي إذا ما تكررت باسم الإسلام والإسلام منها براء؛ لأن الإسـلام يحتــرم الـوفـود والـرسـل والممثلين ويمنحهم الحصـانـــة التي يستحقـونها، حتى لـو جـاءوا بخطر ينـذرون بـه. ولـم يكن هذا يعـزى إلى الإسلام لولا أن الرئيس العراقي قـد حاول بيع هذه البضاعة لبعض المتلقين السـذج الذين غـابت عنهم خلفيـة الرئيس العـراقي الشخصيـة ومنطلقاتـه الفكرية والعقدية التي لا تتنـافى مع الإسلام فحسب، بل أريد بها أن تكون معول هدم للإسلام نفسه على يد من يزعم أنه عبد الله المؤمن.

أما أن يكـون احتجاز الرهائن في العـراق واحتجاز الكويت رهينـة باسم العروبـة فإن هذا المنطلق يحتاج إلى إعـادة تقويم. ونحن لا نعرف عـروبة دون إسـلام، ولـم يكن للعروبـة شأن ـ ولن يكـون لها شأن ـــ إن لـم تستظل بالإسلام. ومن هنـا يبطل الادعاء، ويكون مجرد شعارات يراد بهـا الوصول إلى تحقيق أهداف قديمـة كمينة في نفوس مؤسسيها، لا يـراد لهم الوصول إليهـــا إلا على أكتـــاف الـــرئيس العـراقـي ومن والاه من داخل العـــراق أو خارجها.

إن الرهائن اليـوم ينظر إليهم مرة أخرى على أنهم عملـة رابحة في يد كل من يريد الوصول إلى أطماعه بالقهـر والقوة. وهذا الإجراء يهدد أية محاولة

للتعارف الدولي على صيغة مشتركة في التعامل تكفل أمن وحرية الإنسان مهما وصلت الدول إليه من خلاف سياسي أو عقدي بينها. وسيؤثر هذا الأسلوب ــ غير الحضاري ــ على مشروعات دولية مشتركة إذا ما أحست الدول أن رعاياها ستكون مجالاً للمساومة أو للحيلولة دون الوصول إلى الحق.

ومهما يكن من أمر فالاحتماء وراء الرهائن رجالاً ونساءً وأطفالاً مؤشر يتنافى مع الشهامة العربية إذا ما أغفلنا الحكم الشرعي في هذا، وفي الوقت نفسه يتناقض مع مجموعة الألقاب والصفات التي أسبغت على رئيس العراق. ولا يفلح الظالم حيث أتى!.

وقريباً تتحرر العراق

تُهيأ الكويت الآن لعودة أبنائها بعد تحريرها من الاحتلال الذي جثم عليها سبعة أشهر من الزمان كانت ثقيلة ـ والحمد لله ـ على كل حال .

لم تمض هذه الأشهر السبعة على الكويت بسلام . . فكانت منذ الأيام الأولى للاحتلال في ١١/ ١/ ١٤١١هـ وهي تعيش حالة غير عادية . . وغير حضارية من التخريب للإنجاز الذي حققته الكويت منذ ثلاثين عاماً أو تزيد . . منذ أن نالت استقلالها في بداية الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية . . وقبل ذلكم بكثير . . إذا لاحظنا أن الاحتلال الذي حلَّ بالكويت وبدأ بالتخريب في الأيام الأولى إلى آخر يوم كان فيه بالكويت، لم يقتصر في تخريبه على الإنجازات المادية من عمران وطرق وحقول نفط ومكتبات ومستشفيات، ولكنه تعدى هذا إلى المواطن الكويتي . . وإلى المقيم في الكويت الواقف إلى جنب المواطن في محنته، حاول الاحتلال أن يهز استقرار الإنسان في الكويت . .

وستظل هذه الفترة شاهداً حيًّا على السوء الذي حلَّ بالكويت في فترة محدودة جدًّا في عمر التاريخ . . لا يتوقع معها أن يحلَّ بالكويت ما حلَّ بها لو لم يكن الأمر قد دُبِّر بليل . . وسيظل العاقل من الناس يحمل السؤال في ذهنه عن سبب كل هذا الذي حلَّ بهذه البلاد الطيبة الكويت . . وسيظل يبحث عن مبرر طفيف لهذا الموقف العدائي للقوات العراقية التي فعلت بالكويت ما فعلت . . ولن يجد هذا المبرر فيظل حيران، وإخال حيرته تطول؛ لأن المبرر غير وارد . . بل المبررات لعدم فعل ما فُعل

بالكـويت هي التي ترد في أذهان جميع من عرفـوا الكويت وعرفوا مـواقفها مع العراق ومع الأنظمة التي وقفت في صف العراق .

وعلى الكويتيين بعد العـودة أن يطرحوا هذا السـؤال ويطلبوا من مفكري العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم الآخر أن يجيبوا عليه في لقاء شامل كبير يعقـد في الكويت . . الأرض التي عـرفت معنى الموضـوعية وسمعت للرأي الآخر.

لقـد انتصـر الحق على البـاطل وهيأ الله تعـالى لـه من ينصـرونـه داخل الكويـت وخارجهـا . وهو نصر عجيـب له تبعـاته التي بـدأت مباشـرة بعد النصر، حينما هب الشعب في العراق يريد الخلاص من القيادة التي زجت به في هذا كله . . ثم تخلت عنه وأذاقته مرارة الهزيمة والانكسار. . ولا يزال الشعب في العـراق يعبر عن نفـاد الصبـر والتململ الذي طـال مكبوتـاً في الصدور حتى لا يستطيع المـواطن في العراق أن يبديه لأقـرب الناس إليه ، حينما حوَّل النظام الناس إلى جواسيس بعضهم على بعض .

وستظل الفتـرة التي عاشهـا العراق تحت وطأة هـذا الحكم شاهـداً حيًّا على الخـراب الذي حلَّ بـالعراق . . والكل يشهـد أن العراق كـانت أفضل مما هي عليـه الآن قبل عشرين سنة من الزمن . . وسيظل المـواطن العراقي يسأل عن مبرر لها لهـذا الدمار الذي حلَّ بالعراق طيلـة هذه الفترة . . وهو يعلم شيئاً من الإجـابة . . ولكنه يحتـاج إلى أن يقف على الإجابـة كلها . . بجميع أبعادها . . وإخاله سيعرف الإجابة بعد حين . . حينما تتحرر العراق كلها .

فالنصر الذي حلَّ بالكويت لم يكن مقصوراً على الكويت ، بل هو نصر للعراقيين على حقبـة من الزمن ، جثم فيها عليهم كـابوس أضاع فيهـا كثيراً

من مقومات الحياة في العراق . . فالنصر عجيب هنا حينما يشعر به أولئك الذين استخدموا ـ رغماً عنهم ـ في تحقيق الأطماع الذاتية لرجل سام شعبه سوء العذاب، فقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم في مجازر يعجز التاريخ أن يجد لها مثيلاً . . وسيذكر العراقيون أنفسهم فترة تحرير الكويت بالذكرى الحسنة، إذ كانت سبباً في تحريرهم من هذا الكابوس . . وسيذكر العرب أنفسهم فترة تحرير الكويت بالذكرى الحسنة إذ كانت سبباً في طي مرحلة من مراحل التاريخ . . ودخول مرحلة أخرى فيها وضوح أكثر . . وفيها مواقف أوضح . . ولا أظن فترة ما بعد النصر سوف تمر على الأمة مرور الكرام . . فالمتوقع إقليميًّا ودوليًّا أن ما بعد الأزمة سيكون حافلاً بما هو في مصلحة المنطقة عموماً بإذن الله تعالى .

ولا أظن هذه المرحلة التي عاشتها الكويت قبل النصر ستمر مرور السحاب دون أن تكون لها آثارها التي ينبغي للكويتيين وأهل المنطقة كلها ألا ينسوها .

وينبغي للأجيال القادمة أن تُذكَّر بها بشكل دائم حينما ترصد الفترة العصيبة التي مرت بالكويت وتوثَّق بالأدلة الحسية الناطقة بصمت والناطقة بصوت . وتعرض على الأجيال في الكويت وفي العراق وفي البلاد العربية كلها، بل والبلاد الإسلامية ليدرك الجميع ما حلَّ بالكويت، ويدرك الجميع معنى من معاني النصر الذي فرحت به الكويت . . وستفرح به العراق وسيفرح به العرب جميعاً .

والتسجيل الوثيقي هو الكفيل بتذكير الأجيال القادمة . . والتاريخ الشفهي معين على ذلك، ولكن آفة التاريخ الشفهي رواته . . إذ تتعدد الروايات ويزاد عليها وينقص منها . . ولذا لا ينبغي الاعتماد الكلي عليه؛

لأنـه مـدعاة للـزوال مـا لـم يخضع للتسجيل، وعنـدهـا لا يكون تـاريخـاً شفهيًّا . .

والتقنية الحـديثة في مجـال المعلومـات حفظاً ونقـلاً وعرضـاً كفيلة بأن تعين على التسجيل . . والموقف نفسه يتيح صيـاغة «درامية» جيدة تتحقق فيها عناصـر «الدراما» . . ولا أظن أن إخوتنا في الكـويت سيغفلون هذا . . ولكني أؤكد هنا على التوثيق والموضوعية والتجرد في سبيل الاقتناع . . رغم أن بعض الأجيـال القـادمـة قـد لا تصـدق مـا حـدث للكـويت في فتـرة محدودة . . وقد يـدور في ذهنها أن هناك مبالغـة في الأمر . . إلا أن التوثيق سوف يزيل هذا الشك الذي لا يلام عليـه من يرفعه . . فما حدث للكويت وما يحدث للعراق لا يكاد يصدق ونحن في هذا الزمن .

هنيئاً للكويت بالنصر . . وهنيئاً للعراق بالنصر القادم والتحرير . . وهنيئاً للمنطقة كلها بطي صفحة والبدء بصفحة جديدة نقية . . وهنيئاً لكل أولئك الـذين صبروا وصـابـروا ورابطوا . . وهنيئـاً لكل أولئك الـذين صنعوا القـرار الحكيم في وقت كان بحـاجة إلى الحكمة . . والحمـد لله قبل ذلك وبعده على النصر . . وكان الله في عون الجميع .

الشيطان سَوَّل لهم وأملى لهم..!!

منذ أن غـزا حاكم العراق الكـويت ـ البلد المستقل ذا السيـادة والاعتبار العـربي والإسلامـي والدولي ـــ وحـاكم العراق ينتقل مـن سقطة دوليـة إلى أخرى . . ويبدو أن القصد من وراء هذه المجمـوعة المتتالية من السقطات هو سحب انتبـاه الناس على المستـوى المحلي العراقي والعـربي والدولي وإشغال أصحـاب الرأي في السقطات الثـانوية التي تطغى على المـوضوع الرئيس ، وهو احتلال بلد آمن مستقل ، وتشريد أهله وتخريب دياره .

وكانت الحجـة الأولى لاحتلال الكويـت هي تلبية دعوة المعـارضة (!) لإخراج الأسرة الحاكمة وإقامة دولة «حرَّة»! . ودخل الغزاة الكويت وبحثـوا ـ قبل الدخول وبعده ـ عن ثمانيـة أشخاص من أبناء الكويت ليكونوا أبواق في يد حـاكم بغداد وممثلين له في الكويت ، فلم يستطيعـوا الحصول على هذا العـدد الذي لا يتعدى أصـابع اليدين رغم التهـديد والوعيـد والقهر . . ولكن رجال الكويت أعلنوا من اللحظات الأولى التفاهم حول أميرهم ـ أمير الكويت ـ سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح وبقية أعضاء الحكومة .

ثم ظهر الحاكم في العـراق بمناورة سياسية طلب فيهـا خروج اليهود من الأراضي العـربية المحتلـة ، وليس خروج اليهـود من فلسطين كلها . وهـذا مطلب العرب والمسلمين جميعـاً . ولكنه لا يأتي عن طريق احتـلال البلاد العربيـة ودمارها ومسحهـا من الخريطـة الدولية . وأراد هنـا لفت النظر عن الكويت .

وعندما استعـانت المملكة العربية السعـودية بالدول العربيـة والإسلامية والأجنبية في سبيل الإسهـام بقيادة سعوديـة مع القوات السعودية لـردِّ جنون

حاكم العراق فلا يمتدّ في التغلغل بين العرب يجمعهم اللسان. ولكن هذا الجمع على حساب المعتقد على اعتبار أن المعتقد متعدّد إذا ما أتيحت الفرصة للإلحاد وأنواعه أن يكون طرفاً في تعدّد المعتقد.

وتبنى زعماء عرب هذه الوجهة فحلوا قومهم دار البوار عندما قدَّموا اللسان على الروح فضاعت هويتهم، فلم يبقوا على الانتماء الروحي، ولم يستطيعوا الرقي بالعربي أبعد من مجرد رفع الشعارات.

ومن المؤلم أن يرسم طريق هذه الوجهة ثلة من نصارى العرب، ممن ظهروا على الساحة أو من جعلوا من بعض المسلمين متحدثين على ألسنتهم. والمؤلم كذلك أن يؤكد في رسم طريق العروبة على العنف في تحقيق الأهداف، وإن أدّى الأمر إلى الاجتياح والهدم وسفك الدماء. وهذا تماماً ما حصل من قيادة حزب البعث في العراق على الكويت، وما يمكن أن يحصل تبعاً من القيادة نفسها للبلاد الأخرى المجاورة التي تتبنى أفكاراً عقدية إسلامية، رأى فيها الراسمون لخط العروبة أنها هي وحدها العائق أمام تحقيق قومية عربية تكون بديلاً للمعتقد الإسلامي لتحقق بهذا إنجازات «تنصيرية» لم تستطع الحملات الصليبية التسع ــ ومن بعدها الاستعمار ـ أن تحقق شيئاً يسيراً منها. ولا يبدو أن هناك أفضل طريقة للوصول إلى الهدف من تسليط أهل المعتقد نفسه عليه، وتسليط من يستظلون بظله عليه. والفكرة تحتاج إلى مزيد من الضوء.

على أبواب العام الجديد

يمضي عام ١٤١١هـ بحمد الله وشكره والثناء عليه على ما هو به من بدايته ١/١/١٤١١هـ إلى نهايته. كانت تلكم ابتلاء من الله تعالى اهتز لها المجتمع الخليجي مباشرة والمجتمع العربي والمجتمع الإسلامي بالمتابعة والاهتمام والانتماء. وحصل في ذلك العام المنصرم ما حصل من نتائج لما حدث، ولا تزال النتائج تبرز أكثر وضوحاً في مواقف، وتتخفت وتزول في مواقف أخرى، فالذين كانت لهم ميول إيجابية نحو ما حدث بدأوا يدركون عظم الخطأ الذي وقعوا فيه مهما كانت الدوافع وراء هذه الميول، وربما يكون دافع بعضهم ـ أي بعض الجهات ـ صادراً عن اجتهاد، ويبدو أنه كان اجتهاداً في غير محله.

والذين لم يقروا ما حدث ولم يرغبوا فيه وأدركوا أنه يحتاج إلى إيقاف يدركون الآن أنهم أيضاً اجتهدوا ويبدو أن اجتهادهم كان في محله.

لقد قلب العام المنصرم ١٤١١هـ كثيراً من المفهومات وغير كثيراً من المواقف وفرض إعادة ترتيب الأوراق، واطلع بعض المهتمين من رجال الفكر أن الشعارات شيء يردده ويتبناه من له قدرة على تسخير غيره من أفراد ومؤسسات وأجهزة في سبيل تعميقه في النفوس، ولكن الواقع التطبيقي بات مناقضاً لكل الشعارات، وأظن أن العام المنصرم ١٤١١هـ كان نقطة تحول فكرية عند مجموعة غير يسيرة من رجال القلم، مع عدم إغفال وجود عناصر تدفعها رغبات ذاتية إلى أن تتخلى عن المبادئ وتجري وراء الإغراءات المادية منها بخاصة، ولكن قرارة النفس على أن التحول صائر لا محالة.

ويبدو أن أحـداث العام المـاضي ١٤١١هـ قـد كشفت أيضاً عـن الفئة الثابتة على المبدأ التي تطبق عمليًّا مفهوم المصالح المشتركة وتسهم عمليًّا في نهضة شاملة لم تقتصر على المجتمع العربي فحسب، ولكنها شملت العـالم الإسلامي. وبـدا هـذا واضحاً جـدًّا من خـلال تأثـر المشروعـات الـرسميـة والشعبيـة التي كـانت تنطلق من المنطقـة نفسهـا إلى مختلف الجهات فـي الوقت الـذي يبحث فيه المـرء عن مشروعـات عملية تنمـوية نهضويـة متبناة من أولئكم الملتفين حول الشعـارات فلا يجد إلا مـا يدخل في شراء الضمير وهو على كثرته محدود النفع قليل البركة.

وليت المسلمين في كل مكـان يقفـون ويقـولـون لمن أحسن أحسنت، وهـذا هـو الـدليـل، ولمن لم يحسن أسأت وهـذا هـو الـدليل بـالتجـرد والمـوضـوعيـة المطلوبـة، عنـدهـا سينكشف كثيـر من المختفي وتخبـو الشعارات وتظهر الأفعال، ولسنا هنا بصـدد الدفاع من جهة أو الهجوم من جهة أخـرى ولكنها محـاولة لكشف حسـاب العام المنصـرم ١٤١١هـ من الزاوية التـي رأيناها وعشناها وعـايشناها وفيها من أسهم من قـريب أو بعيد فيها.

ولا أظن أن العام المودع ١٤١١هـ سيزول من الـذاكرة العالمية، وإن بدا الأمر في بداياته نزاعـاً بين طرفين تجمعهما روابط كثيرة لكن الواضح هنا أن المتأثر تأثـراً مباشراً لم يكن هذين الطـرفين تجمعهم روابط كثيرة فحسب، بل الساحة العـالمية أصابها الأثـر المباشر، ولذا فإن عام ١٤١١هـ لن يزول من الذاكرة.

ويـريد الإنسـان العربـي والمسلم أن يمضي إلى الأمام ويقلب صفحـة العـام ١٤١١هـ مع قطع آخـر ورقـة من التقويم، ويـريـد هذا الإنسـان أن

يستمر في مشواره الذي تأثر معنويًّا على الأقل عاماً كاملاً، ويريد أن يستخدم ذاكرته كذاكرة الحاسوب يطلب منها (مسح) ملف عام كامل، ويريد أن يستغل المساحة الممسوحة معلوماتها بمعلومات جديدة تكون أكثر إيجابية، ويريد هذا الإنسان أن يستعمل نفوذه في محاولة النسيان، ويريد بهذا أن يفتح صفحة جديدة مع أول ورقة من التقويم لهذا العام المبارك ١٤١٢هـ والذي بدت بركته تشرق مع بداية الشهر الثاني عشر والأخير من العام المنصرم، ذلكم الشهر الذي ظهرنا به وفيه بشيء جميل، كان كله بفضل الله يوحي بزمن مبارك يأتي ويدفعنا في هذا الشعور التفاؤل والأمل. ومع هذا كله فإن المزيل للذاكرة التي سجلت أحداث العام الماضي ١٤١١هـ ليست من القوة بحيث تستطيع مسح شيء يسير من مجموع ما حدث، وأظن أن الغصة ستبقى، وأظن أن آثار الجرح ستظل وإن اندمل الجرح نفسه ولكن آثاره ستكون علامة فارقة عن الأعوام التي مضت قبله وربما ـ والله أعلم ـ الأعوام التي تأتي بعده لتلكم العلامة الفارقة التي يسجلها على الحفيظة رجال الأحوال المدنية عندما كنا نسير على نظام حفائظ النفوس، حفظ الله نفوسكم من الهزات الخاصة والعامة، وحمانا من مزيد من الشعارات، وجعل هذا العام ١٤١٢هـ عام خير وبركة. وكان الله في عون الجميع.

العاقل من وعظ بغيره.. والعظماء لا يصنعون !

طبعت وزارة الثقافة والإعلام بالعراق صفحة فيها تسعة وتسعون اسماً للحاكم في العراق، ولا بأس من ذكرها حسبما جاءت في ترتيب الصفحة، ويعين على ذكرها قاعدة أصولية من القواعد العظيمة في الإسلام وهي أن ناقل الكفر ليس بكافر. والاحتياط مرغوب في عدم نقل الكفر إن لم يكن هناك قصد، إلا الاعتبار ووضع الأمور في موضعها الذي تستحقه. والأسماء كالتالي :

١ – صدام حسين القائد العظيم .

٢ – صدام حسين القائد التاريخي .

٣ – صدام حسين القائد المنفذ .

٤ – صدام حسين منزل النصر . وكتب هذا الاسم بخط يختلف عن الأسماء الأخرى ؛ للتنبيه .

٥ – صدام حسين القائد الملهم .

٦ – صدام حسين القائد الفذ .

٧ – صدام حسين القائد الضرورة .

٨ – صدام حسين القائد الرمز.

٩ – صدام حسين القائد المحنّك .

١٠ – صدام حسين القائد المنتصر.

١١ – صدام حسين القائد الأمين .

١٢ - صدام حسين القائد المظفَّر.

١٣ - صدام حسين القائد المنصور.

١٤ - صدام حسين القائد المفدَّى .

١٥ - صدام حسين القائد الشجاع .

١٦ - صدام حسين القائد المفكر.

١٧ - صدام حسين القائد المبدع .

١٨ - صدام حسين القائد الحكيم .

١٩ - صدام حسين المعلم والقدوة .

٢٠ - صدام حسين حبيب الشعب .

٢١ - صدام حسين ضمير الأمة .

٢٢ - صدام حسين أبو العراقيين .

٢٣ - صدام حسين فارس الأمة .

٢٤ - صدام حسين حبيب العراقيين .

٢٥ - صدام حسين رجل التاريخ .

٢٦ - صدام حسين عز العرب .

٢٧ - صدام حسين خيمة العراقيين .

٢٨ - صدام حسين فخر العراقيين .

٢٩ - صدام حسين مهندس التأميم .

٣٠ - صدام حسين ملهم الإبداع .

٣١ - صدام حسين راعي الطفولة .

٣٢ - صدام حسين رائد الديمقراطية .

٣٣ - صدام حسين راعي الثقافة .

٣٤ - صدام حسين المحرر الباني .

٣٥ - صدام حسين رجل الانتصارات .

٣٦ - صدام حسين راعي الإبداع .

٣٧ - صدام حسين هدية الله للعراق .

٣٨ - صدام حسين رجل العدالة الأول .

٣٩ - صدام حسين قائد العراق الموهوب .

٤٠ - صدام حسين باني العراق الجديد .

٤١ - صدام حسين بطل النصر والسلام .

٤٢ - صدام حسين رمز شموخ العراقيين .

٤٣ - صدام حسين قائد النصر والتحرير.

٤٤ - صدام حسين قوة عين العراقيين .

٤٥ - صدام حسين رمز العزة والكرامة .

٤٦ - صدام حسين قائد النصر والبناء .

٤٧ - صدام حسين هبة البعث للعراق .

٤٨ - صدام حسين هبة العراق للأمة .

٤٩ - صدام حسين عمق التاريخ العربي .

٥٠ - صدام حسين مهندس الانتصارات العظيمة .

٥١ - صدام حسين رمز الرجولة والشجاعة .

٥٢ - صدام حسين ضمانة النصر والتقدم .

٥٣ - صدام حسين قائد المسيرة الظافرة .

٥٤ - صدام حسين صانع المجد العربي .

٥٥ - صدام حسين محرر الفاو وبانيها .

٥٦ - صدام حسين باعث النهضة العربية .

٥٧ - صدام حسين قائد المستقبل الزاهر .

٥٨ - صدام حسين رجل الحاضر والمستقبل .

٥٩ - صدام حسين رجل الديمقراطية الأول .

٦٠ - صدام حسين رجل المجد والتاريخ .

٦١ - صدام حسين ابن العراق الفذ .

٦٢ - صدام حسين حامي البصرة وبانيها .

٦٣ - صدام حسين النخوة والعز والتحدي .

٦٤ - صدام حسين هبة السماء في الزمن الصعب .

٦٥ - صدام حسين قائد وحبيب الكل .

٦٦ - صدام حسين رمز العراق وباني مجده .

٦٧ - صدام حسين خير قائد وأعظم بطل .

٦٨ - صدام حسين خلاصة عبقرية الأمة .

٦٩ – صدام حسين ربان سفينة النصر.

٧٠ – صدام حسين ذخر العراق والأمة العربية .

٧١ – صدام حسين هبة السماء إلى هذه الأمة .

٧٢ – صدام حسين القائد النادر بين القادة .

٧٣ – صدام حسين قائدنا نحو العز والمجد .

٧٤ – صدام حسين رمز الشموخ والعز والكرامة .

٧٥ – صدام حسين العبقرية الفذة والفكر النير.

٧٦ – صدام حسين حامل لواء نهضة الفكر.

٧٧ – صدام حسين الزهو العربي في زمن الخلود .

٧٨ – صدام حسين قائد الثورة وإنجازاتها العظيمة .

٧٩ – صدام حسين قائد الأمة وباني مجدها التليد .

٨٠ – صدام حسين فارس الأمة وحامل لواء النصر.

٨١ – صدام حسين بطل النصر ورمزه وصانعه .

٨٢ – صدام حسين ابن القيم والمبادئ العربية .

٨٣ – صدام حسين الحلم المنشود للعراق والعراقيين .

٨٤ – صدام حسين ابن الشعب البار.

٨٥ – صدام حسين رائد المسيرة وعز العراق .

٨٦ – صدام حسين العقيدة المخلصة والوطنية الشريفة .

٨٧ – صدام حسين الرمز الذي يمثل طموحات العراقيين .

٨٨ - صدام حسين بطل الشعب وقائد معاركه النضالية .

٨٩ - صدام حسين قائد التنمية والتطوير الاقتصادي .

٩٠ - صدام حسين مفخرة قومية لأمة العرب والإنسانية .

٩١ - صدام حسين الإشعاع الخالد في الضمائر والنفوس .

٩٢ - صدام حسين رمز العقل العربي الحديث .

٩٣ - صدام حسين قمة الانسجام بين العبقرية والقيادة .

٩٤ - صدام حسين الشخصية الحضارية للإنسان العربي .

٩٥ - صدام حسين النموذج الأمثل للعلاقة بين القائد والشعب .

٩٦ - صدام حسين رمز السيادة والكرامة الوطنية .

٩٧ - صدام حسين قائد الحياة في عراقنا الناهض .

٩٨ - صدام حسين الوفاء المهيب للشهداء .

٩٩ - صدام حسين رب الأسرة العراقية .

ويضطر المرء أن يعرض مثل هذا على أولئكم المتابعين الذين لم يطلعوا على هذه الطريقة في تمجيد الأشخاص ورفعهم إلى مصاف قد تتعدى مقامات الأنبياء والرسل . ونحن على علم بشيء من هذا ، ولكنه التأكيد الفعلي على أمرين يمكن أن يستخلصهما المرء وراء هذا الأسلوب في رفع الناس فوق منزلتهم جميعاً منزلة البشر:

الأمر الأول : أن هذا إيحاء للرجل المسمى بهذه الأسماء التسعة والتسعين أنه حقًّا يتصف بالصفات المقرونة أمام اسمه ليعطي الانطباعة أن شعبه أعطاه هذه الصفات ، وأن العرب جميعاً متفقون على وصفه بها . وهم

بهذا يـرضون غـرور الرجل ويستفيـدون منه إفـادات شخصية تـوصلهم إلى أهداف لم يكونوا ببالغيها لو لم يتبعوا هذا الأسلوب في التزلف.

والأمر الثـاني: الذي يبدو أنه أعمق مـن الأول هو أن هذا الرجل عنـدما تبنى فكرة ترويج الحزب الذي يدين به أراد البعيدون قبل القريبين أن يسموه بهذه الصفات ليعلوا من شأنه ويرفعوه فوق بقية الزعماء العرب على الأقل. وفي هذا ترويج للأفكار والمفهومات التي يتبناها ويدين بها. وهذا يعني أن الرجل عندما يستهلك أو يبدو منه شيء من التراجع عن مبادئ الحزب فإنه سيـوصم ـ لا محـالة ـــ بشيء من عـدم الاتزان الـذي بدأ عليـه أخيراً ممـا يتعارض مع هـذه الصفات التي أعطيها، فيبـدءون البحث في شخص آخر يبدءون معه «بالصرف» عليه من الألقاب والكنى والأسماء والصفات.

وأي شخص يجد في قلبـه ذرة من إيمان بالله تعالى سـوف يرفض رفضاً يملك قراره أن يُقرِّب ولو تقريبـاً من أولياء الله الصالحين، ناهيكم عن رسله تعالى وأنبيائه.. ومن باب أولى وألزم الابتعاد ـ كل الابتعاد ـ عن التفكير في أن يقبل أي تفكير في أن يوسم بصفـة أو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى. ويرفض أي تعبير أو إشـارة من تعبير يوحي من بعيد إلى أن يعتقــد أنـه يــرضى أن يكـــون إلهـاً يعبـــد من دون الله، أو شبيهـاً بـالإلـه المعبـود ـ تعالى الله عن الشبيه علوًّا كبيراً.

ولا حجـة بحال لمن سيقـول في مثل هذا المقـام إن الشعب هو الـذي أسبغ على قـائده هذه الأسمـاء التي هي في حقيقتها صفـات. فالقـائد في المنزلـة التي يستطيع معها أن يكـون قدوة لشعبـه عندما يضـرب لهم المثل البشري الحـي في بعده عن إهـانة مشاعـر الآخرين من المـؤمنين، وإن لم يستطع أن يكون قدوة فـلا أقل من أن يستتر إذا كان مبتلى، ولا يظهـر فرحه

وغبطته لما يسمعه من بطانة السوء التي قيل عنها في هذا الموقف الذي نحن بصدده، إنهم إنما يملون على القائد هذه الانطباعات؛ لأنهم يحافظون بها على وجودهم، أي أنهم إن لم يسلكوا هذا المسلك فإنهم مهددون بالإعدام على الطريق المتبعة المألوفة التي يسير عليها هذا الرجل.

وقد ينظر بعض المفكرين إلى هذه القائمة فيهز رأسه يمنة ويسرة ويضحك ضحكة معبرة عن شر البلية. ولكنها ـ مع بالغ الأسف ـ العظمة والخيال الذي يصور لصاحبه ويصور له من حوله أنه وصل منزلة لم يصلها من قبله ولن يصلها من بعده. وقد يفترض البعض أن المنعوت بهذه الصفات يدرك في قرارة نفسه أنه لا يستحق خمسة بالمائة منها، ولكنه مع هذا ينساق، إما لأنه يملي لنفسه أن الآخرين أدرى به منه، وإما لأنه يدرك حقًّا أن من حوله لا يقصدون ما يقولون وأنه جاهز لهم في أية لحظة، وهذا هو الذي يبدو. ويؤيده لجوء الرجل إلى التخلص ممن أخلصوا له في ظاهر الأمر من المقربين له، وممن قام هو على أكتافهم. ويجد مبرراً في التخلص منهم عندما يتذكر أنهم ليسوا أكثر من متزلفين، فيهم من صفات المنافقين الشيء الكثير.

واستقراء التاريخ المعاصر والتاريخ الحديث على الخصوص يعطينا نماذج وصلوا إلى أقل مما وصل إليه هذا الرجل من الغرور بالنفس وادعاء التميز والعظمة فكان مصيرهم جميعاً مصيراً لا يرضاه عاقل لنفسه أو لعزيز عليه من الأمراض والتشريد والإهانة والذل في قومهم بعد أن كانوا بينهم أعزاء. وشخصيات هذه المواقف معروفة، ولكن المؤلم هنا أن الذين يقرءون التاريخ لا يتعظون بغيرهم، ونحن نقول إن العاقل من اتعظ بغيره، فأين العقلاء؟!!

نهاية مرحلة في تحديد الهوية..!!

تمر علينا اليوم الأحداث سريعة جدًّا . . بعد خمسة أشهر من احتلال القوات العراقية للكويت قامت الحرب كرهاً لا رغبة فيها . . لم يترك العالم وسيلة لم يطرقها لإقناع الحاكم في العراق بالانسحاب من الكويت وإعادتها لأهلها . .

لم يعدَّ أحدٌ الوفودَ التي يممت بغداد مناشدة الظالم الكف عن ظلمه . . ولكنه كل مرة يتمادى في هذا الظلم . . أذاق شعب الكويت مر التشريد . . وأذاق شعبه مر القلق . .

ثم قامت الحرب في وقت كانت فيه أصوات تؤكد على أن الرجل سيسحب قواته . . لم تكن هذه الأصوات قد وضعت في خلدها أن رجلاً في هذا العصر يمكن أن يتمادى في هذا العناد والغي على حساب أمة بأكملها . . ألا يحق للعاقلين أن يتساءلوا : لماذا كل هذا؟! إنك ترى اليوم على الوجوه الدهشة . . بعض العاقلين لم يعد يحسن الحديث عن الأزمة التي وصلت إلى هذا الحد . . هناك استياء عام على الوجوه . . الوجوه الباسمة بالأمس طغى عليها الهم فغير من قسماتها . . الأعصاب شدت أكثر مما كانت عليه مشدودة قبل الحرب . . قبل الحادي عشر من محرم الحرام حيث بدأت الحرب . غريب حال البشر . . وغريب حال أولئك الذين أعانوا الظالم على ظلمه . . فأعطوه من التأييد ما جعله ينهي حياته نهاية لا تكاد تختلف عن نهاية الظالمين من قبله . . في هذا القرن من الزمان من بداياته في أوروبا إلى ربعه الأخير في آسيا . . هناك أشخاص عرفهم التاريخ بالطغيان، ويجمع بينهم أن نهاياتهم كلهم كانت سيئة جدًّا . . فمنهم من انتحر، ومنهم من سيقت جثته في الأسواق يلطمها

القاصي والداني، ومنهم من هرب أو هرب من بلاده وملكه وجبروته، ولم يسمح له بأن يموت فيها، بل لم يسمح له بأن يدفن فيها. . ذل الطغاة بعد أن كانوا يعيشون العظمة المصطنعة. . ساروا خلاف إرادة شعوبهم، فجَرَّ عليهم ذلكم النهج النهايات البائسة. .

والظالم الذي نحن بصدده لم يقتصر ترويعه على شعبه، بل لقد روع أمة بكاملها. . مزقها بعد أن شقت طريقها نحو اللقاء. . فرقها بعد أن بدأت تدرك أهمية الالتحام، بث فيها العداوات بعد أن اجتازت رحلة الشقاق. . ومع هذا كله يجد في محيطه من يزين له الباطل ويعينه على الظلم. .

والخسران هنا ليس مقصوراً على الظالم. فنهايته ليست بعيدة، وإن لم تكن قد حدثت فإنها قد تحدث في أية لحظة من الآن، والخسران سيشمل أولئك الذين أضلهم الظالم فأضلوه حين يقفون وحدهم يعضون أصابع الندم بعد أن دنسوها بالخيانة للأمة. . ولا يبعد أن يكون مصيرهم مصيره ونهايتهم نهايته. . على أن هناك مغلوبين على أمرهم لا يملكون أمام الظالم حولاً ولا قوة. . وليسوا من القوة الداخلية الذاتية، بحيث يعتمدون على الله ثم عليها فيردون كيد الظالم ويوقفونه عند حده. . غرهم الظالم فاغتروا. وأمسكوا زمام الإعلام فأخفتوا الأصوات العاقلة. . وفتحوا أبواقهم للناعقين الذين لا ينطلقون من مبدأ ولا يحدوهم فكر ولا يخدمون قضية. . إنما ملئت جيوبهم بالدينار قبل الدرهم فانساقوا، فساقهم الظالم إلى متاهاتٍ، التالية منها أشنع من التي قبلها. . فاستمروا في المكابرة والعناد. . وضاع عليهم خط الرجعة فاستغلهم الظالم، ولا يزال. . وأكاد أجزم أن كثيراً منهم لم يتصوروا ما سيصلون إليه وما أوصلوا الأمة إليه. . كانوا يظنون أن الأمة مجرد لعبة سياسية ستنتهي بطريقة أو بأخرى ولكن دون الوصول إلى ما وصل إليه الحال.

التخلي عن الظالم..!!

ومنذ أن بدأت الأزمـة تخلى غير المأجورين عن الظالم ممن تبنـوا فكرته ودعوا دعـوته. . فتبـرأوا من فعلتـه هذه. . وبـرأوا التوجـه العام الـذي تبناه الظالم من تصـرفاته، وحاولوا إشعـار الآخرين أن تصرفه هـذا لـم يكن مبنيًّا على منطلق فكـري أو عقيدة يدعـو لها حـزبه الذي عمل علـى نشره سنين عـديـدة. . والقصـد من هـذه البـراءة هـو إبقـاء الفكـر سـاريـاً في الجـو العربي. . في محـاولة لتحديد جـديد للهويـة العربية. . هذه الهـوية التي قـامت على القـومية وأرادت من النـاس في محيط هـذه القـومية أن يبـرزوا ولاءهم لها. . يتثقفون بها ويتعودون عليها. . ومنذ أن قامت الفكرة مع قيام القـومية الطـورانية والنـاس ـ على العمـوم ـ غيـر قابلين لهـذا المسلك في تحديد الهويـة العربية، وإن وجدت نماذج عبر التـاريخ الحديث شهدت بهـذا التـوجـه ودعت إليـه، ولكن الفكرة نفسهـا مـرت بنكسـات على يـد زعمائها الداعين لها مما لـم يترك مجـالاً لتصديق هذا التوجيه، ناهيكم عن التثقف فيه وزرع الولاء له.

وكانت آخر هـذه النكسات هي ما قام به زعيم العـراق في الحادي عشر من محرم الحـرام ١٤١١هـ، إذ كان قبلهـا ينادي بأنـه رجل الهوية العـربية القـادم من الشرق العـربي. . ولـم ينـاد بهـذا فئة واحـدة من أبنـاء العربيـة فحسب، بل كـاد أن يتفق عليـه، مجمـوع من الفئـات ممن طرقـوا أبـواب الثقافة والأدب والسيـاسة والفكر. . وقبل الأزمة بأشهـر قليلة سعى الحاكم في العـراق إلى ترسيـخ هذا المفهـوم. . ولـم يكن لـلأصوات الأخـرى التي حذرت منه آذان تصغي. . وعندما حل ما حل في الكويت رأيت الأصوات هنـا وهناك تنبئك بأن هـذا التصرف لا يعبـر عن توجـه. . ولكنه يعبـر عن

سادية حربية في ذات الرجل وفي تكـوينه السيكولوجي، وأتعجب أنه كيف يرضى أولئك الـذين يسعون إلى تحـديد الهويـة أن تكون هـذه النماذج هي التي تحـدد لهم هويتهـم. . بينما يـدرك الكثيـرون أن الهويـة العـربية قـد تحددت منذ أربعة عشر قرناً حينما حمل العرب هويتهم إلى العالم كله ولا يزالون يحملونهـا فكانت مقبولة لأنها نبذت التقـوقع واستندت إلى العالمية والشمولية. . فهي لم تكن تجـديداً لهوية العـرب فحسب، بل هي تجديد لهوية الإنسان عمـوماً دون نظر إلى لسانه أو لونه أو مكـانه أو زمانه. ولكن القوة الخفية تأبى إلا أن تضفي تعتيماً علـى هذه النظرة قصداً إلى أن يعيش العالم حالة من عدم الاستقرار. . وعلينـا أن ندرك أن هناك عناصر بشرية لا يطيب لها أن يعيش النظام عند الناس عيشة فاعلة.

استغلال التوجه العام:

ومما يـؤيد نهايـة مرحلة في تحـديد الهـوية أن هناك تـوجهاً عامـاً نحو الهوية الشاملة تحطمت أمامه محاولات تحديد الهوية القومية. . ودعا هذا الظالـم في العراق إلى استغـلال هذا التـوجه العـام وامتطى صهوة التـوجه الديني في استقطـاب التأييد فتسمى بالأسماء والصفـات الدينية. . وادعى القرب من صاحب تحـديد الهوية الحق ـ رسول الله ﷺ ـ ودعـا إلى تحرير المقدسات الإسـلامية. . وكأنها كانت ترزح تحت نيـر الاستعمار اليهودي أو الصليبي أو البـوذي أو العلمـاني. . واستغل وجـود القوات المتحـالفـة فأشعر الناس بـأنها تدنس البقاع المقدسـة. . ثم أراد في هذا المسلسل أن يستعطف الشرق فضرب هو أماكن عنده تسمى مقدسة، وادعى أن القوات المتحـالفـة هي التي ضـربتهـا. . ولكن المعنيين بهـذه الأمـاكن يـدركـون الرجل. . ويدركون من هـو وما هو عليه في الوقت الذي يحـاول فيه جاهداً

أن يكسبهم إلى صفه . . أو على أقل تقدير عنده أن يكسب سكوتهم عليه . .

وهذا النهج في استغلال المواقف حير أولئك النظريين الذين رأوا أن تحديد الهوية القومية ينبغي أن يغفل تماماً هذا التوجه، فلا يعطيه اهتماماً يزيد منه، ولا يأخذ منه إلا بالقدر الذي يقتصر على الذات، ولا يخرج إلى المجتمع والحياة . . فزادت عند هؤلاء الغرابة وظنوا أن هذا تكتيك يسعى به الرجل إلى الإفادة من هذا التوجه في ظل الظروف الراهنة؛ لينقلب عليه ـ كما فعل من قبل ـ عندما ينتهي من الأزمة ـ إن انتهى منها على أية حال . . وإخاله هنا كالغريق يتعلق بأي شيء يصادفه . . أو إخاله كالخبيث يريد أن ينثر الفرقة بين أصحاب هذا التوجه . . وقد حصل له شيء من هذا . . مما يتيح مجالاً أرحب للدخول في مرحلة جديدة في تحديد الهوية تكون أوسع كثيراً من المراحل الماضية التي ضاقت في فترة من الفترات، فحاولت تحديد هويتها من خلال تبعيتها الثقافية لأوروبا مثلاً . . انظر كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» لطه حسين . . وكتاب «روح العروبة» لعبد اللطيف شرارة . . وكتاب هوية ومزاج العرب بالإنجليزية لسنية حمادة . . وكتاب العقل العربي بين الحربين ١٩١٨ ـ ١٩٣٩م . . وغيرها من أدبيات تحديد الهوية القائمة على الهوية القومية . . وليس بالضرورة أن تكون هذه الأدبيات كلها على غرار مستقبل الثقافة في مصر . . ولكنها لا تختلف في المفهوم الضيق للهوية . . وانظر في هذا ـ إن شئت ـ كتاب «حدود الهوية القومية : نقد عام» . . لنديم البيطار الذي ينظر إلى تحديد الهوية من خلال مفهوم الوحدة وحتميتها . . والوحدة عنده وحتميتها بوصفها نتيجة كنتيجة تترتب على وجودنا كأمة كان يعني في الواقع، بالنسبة لهذه

الكتابـات حتمية الوحـدة نتيجة للغتنا الواحـدة لعبقرية هـذه اللغة . . «إن وجهة الأمة العـربية» كما يكتب زكي الأرسوزي مكنونـة في اللسان العربي، وفي الكلمات العربيـة بجذورها وحروفهـا وحركاتها، كمـا هي ظاهرة على جميع مـؤسساتهـا» ص٢٩٨ . وفي هذا مغـالطة يـدركها المتعمقـون وغير المتعمقين في تحـديـد الهـويـة . . وزكي الأرسـوزي من أولئكم الأقطـاب الذين قامت على أيديهم فكرة حزب البعث الذي حاول التركيز على تحديد الهوية العـربية من خلال القومية في كتـابات كثيرة، منها ما تـدل عناوينها عليها مثل كتابه: «العبقرية العربية في لسانها» .

وتعني نهاية هذه المرحلة في تحديد الهوية نهاية النهج الذي قامت عليه هذه المرحلة والمحاولة الجادة في الدخـول إلى مرحلة قادمة ستتبارى فيها وجهات عـدة . . وغني عن البيـان أن نهايـة هذه المرحلـة تعني بـالضرورة نهايـة دعاتها ومستلـزماتها . . وهي تعنـي نهاية ظـالـم نهاية حسيـة بعد أن انتهى نهاية تأثيـرية في الحادي عشر من محرم الحـرام ١٤١١هـ الثاني من أغسطس/ آب ١٩٩٠م، ويعني هذا بالضـرورة أن تحديد الهويـة إنما يقوم على الظلم والجـور والاضطهـاد وعلى مـن يخـالف هـذه النظـرة أن يثبت خلافها . . والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

الأزمة.. والثبات على المبدأ..!!

في الأزمـــات تختلط الأوراق . . وتنقلـب ـــ عنـــد بعض النـــاس ـ الأوليات . . وربما ينشر الغسيل . . وتتكشف بـواطن الأمور التي كانت في الأحـوال العــادية مطمـورة وراء الطمع في الاستغــلال أو الاستغفــال . . والحكماء عادة يتحملـون ، ويتجاوزون كثيراً عن الهنـات ، ويضحون كثيراً في سبيل عـدم الصدع . . والحكمـاء عادة لا يتأثـرون بالنعيق إن جـاء من أفراد للحكماء عليهم حق وسابق نعمـة . . والحكماء عادة لا يضعون قوائم لمـا قدمـوه للأصـدقاء الأشقـاء الـذين يريـدون أن يجمعوهم على قـواسم مشتركـة . والحكماء عادة يـدركون مغـزى المواقف ، ويحترمـون السيادات الـداخليـة لــزمـلائهم ويعينـونهم على التغلب علـى الصعـاب التي تعيق طمـوحهم . . والحكماء عـادة لا تغيب عنهم بعض الممارسـات الجانبيـة التي ربمـا يُشم منها حـالات من الغبطـة أولاً ثم الحسد أخيـراً . . وكل ذي نعمة محسود . . ونعمة الحكماء أنهم حكماء . . ناهيكم عن النعم الأخرى التي أسبغها الباري عليهم فتعاملوا معها بحكمة . ولم يقصروا خيرها عليهم فقط . . ووصلت بـوادر شكـرهـا للقـاصي والـداني ممن يستحق أن تصل إليه . . بل إن من الحكمة ـــ أحياناً ـ أن تصل بـوادر شكر النعمة إلى من لا يستحق أن تصل إليه بالحكم الظاهر .

أولئكم هم الحكماء الذيـن رسموا مبدءاً ـ أو قولـوا تبعوا مبدءاً ـ مـرسوماً ساروا عليه ودعوا إلى السير عليه ، رغبـة منهم في ترسيخ المبدأ الذي يؤدي دائماً إلى الاستقرار، بكل معانيه . . ولذا نراهـم يتحملون . . ولكن تحمُّلهم ليس ناتجاً عن ضعف فيهم أو خوف . ومن ظن هذا فليعـد ترتيـب أوراقه ،

إذ الحكماء لا يضعفون ولا يخافون؛ لأنهم ينظرون إلى آماد بعيدة يحللون من خلالها الصغائر من الأمور والكبائر منها ويتخذون مواقفهم من الصغائر والكبائر.

والأزمة التي ابتلى بها المسلمون جميعاً، وبخاصة في منطقة الخليج العربية أبرزت على السطح حكمة الحكماء.. كما أبرزت على السطح الوهن الذي كان مختفياً ردحاً من الزمن عند بعض من يتغنون بالحكمة ويدعونها.. وينادون بالوحدة ويتبنونها.. ويرددون الحريَّة ولا يعلمون لها معنىً إلا المعنى الضيق المضاد تماماً لمغناها.. ثم تراهم ينادون بالمبادئ، وهم أول من يناقضونها.. حقًّا لقد اختلطت الأوراق.. وانقلبت الأوليات.

★ وإلى الآن سمعنا عجباً. ولا نزال نسمع عجباً.. ورأينا عجباً.. ولا نزال نرى العجب.. رأينا ما يناقض العقل من شخص قال: «إن أرقى العقول هي التي تتعلم من تجارب الآخرين ومن تجارب الشعوب والأمم ما يكفي في تعاملها مع الحياة في السلم والحرب» قالها رئيس العراق في غرفة العمليات في ١٦/ ١١/ ١٩٨٢م. والعجب هنا أنه من قال هذا لم يتعلم من تجاربه هو ناهيكم عن تجارب الآخرين وتجارب الشعوب.

★ وقرأناه يقول: «أقول لك ابتداءً نحن ضد الإرهاب الدولي وقد عانينا منه» في حديث له مع ستيفن سولارز في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٢م. ومن قال هذا هو الذي لا يزال يمارس الإرهاب ضد شعب العراق أولاً، ثم ضد الشعب الكويتي ثانياً، ثم ضد الشعوب الأخرى ثالثاً.

★ وقرأناه يقول: «عليك ألا تستخدم الدين في أهداف سياسية» في حديث له في اجتماع مكتب الإعلام في ١١/ ٨/ ١٩٧٧م. ومن قال هذا

هو من دعا نفسه بعبد الله المؤمن ودعـا إلى رفع راية الجهاد ضد سدنة بيت الله الحرام والقائمين عليه والنافحين عنه . . ! !

★ وقـرأنـاه يقـول : «ابتـداءً علينا أن نقـول إن الحـرب ليست الـوسيلـة الأساسية والوحيـدة المعبرة عن الحياة ، وإنما هي وسيلة لـلاضطرار عندما تتهـدد» في حـديث لـه مع الصحفي الفـرنسي شـارل سـان بـرو في ٣١/ ٥/ ١٩٨٣م . ولا نعلم أن الكويت حكومة وشعباً وأن المملكة العربية السعودية حكومـة وشعباً وأن دولة الإمارات العربية المتحـدة حكومة وشعباً قد سعت إلى تهديد العراق حتى «يضطر» إلى الزحف عليها جميعاً .

★ وقرأنـاه يقول : «ينبغي أن يكـون العرب في وضع لا يجعلـون عدوهم فيـه قادراً على أن يبيـدهـم في استخـدام الأسلحة المبيـدة لـلإنسانيـة» في حديـث له مع مجلة شتـرن الألمانيـة في ١١/ ١٠/ ١٩٨٢م . ولا نعلم من يهدد العـرب بالأسلحة المبيدة لـلإنسانية غير القيـادة في العراق . حتى إذا كان في نية الآخرين ـ كاليهـود في فلسطين المحتلة ـ إبادة العرب فإنهم لم يهددوهم بذلك وإن رغبوا في ذلك .

★ وقرأناه يقول : «إن أي حاكم مريض أو كـان لديه أطماع خارج حدود بلده يكون كـرسي الحكم أساسيًّا في نظرته إلى الحيـاة» . في حديث له مع الصحفي الفرنسي شـارل سان برو في ٣١/ ٥/ ١٩٨٣م . ومن قال هـذا هو نفسه الذي بدا أن له أطماعـاً خارج حدود بلده ، فهل حكم على نفسه بأنه مريض وأن كرسي الحكم أساسي في نظرته للحياة؟ ! !

★ وقرأناه يقول : «علاقتنا جيدة مـع السعودية منذ عام ١٩٧٥م وعلاقتنا جيدة مع دول الخليج منذ ١٤ سنة» في حديث لـه مع مجلة شترن الألمانية

في ١٦/ ١٠/ ١٩٨١م. ترى من الـذي أساء إلى هذه العلاقـة الجيدة التي امتـدت عبـر الـزمن حتى في أحلك اللحظـات التي تعـرض فيهـا العـراق للعدوان الخارجي؟!!

★ وسمعناه يقول: «نحن مرتاحون من الرئيس حسني مبارك ومن تصرفه تجـاهنا في الحـرب، حيث أعلن مـواقف سيـاسية لا بـأس بها، وبـاعني أسلحة وأعتدة، وتصرفه هذا ينطلق من نظرة واسعـة للأمور وبطريقة كريمة ونحن نحفظ لـه هـذا» في حديثـه مع ستيفن سـولارز عضـو لجنة الشـؤون الخارجية في الكونجـرس الأمريكي في ٢٧/ ٨/ ١٩٨٢م. ولعل المتابعين للإعـلام العراقي يدركون مـدى ما وصف به الرئيس المصـري حسني مبارك عند احتلال العراق للكويت وبعد الاحتلال إلى اليوم.

★ وقـرأنـــاه في مقـابلـــة مطـولـــة مع نـاصـــر الـدين النشـــاشيبي في ١٩/ ١/ ١٩٨١م: «قبل أن نبـدأ صـــراعـاتنـا مع إيـران قلنـــا في الإعـلان المشهور إن العربي يجـب ألاَّ يشهر سلاحه ضد أي عـربي آخر». ولا نعلم أن عربيًّا فعل هذا في هذا المستوى غيـر الشخص نفسه الذي قال مـا قال في الإعلان المشهور!!!

★ وسمعنـا عنه في بيـان أذاعه في ٢٠/ ٩/ ١٩٩٠م قـوله: «إن الله قـد اختار العراق لقيـادة العرب والمسلمين في هذه الظروف». وهنـا نجد كلمة المسلمين قد أقحمت إقحاماً مقصوداً مع أن المسلمين لا يؤمنون ـ ابتداءً ـ بأن الله تعالى يختار شعباً من الشعوب لقيادة أي أمة من الأمم. والخلط في الثقافات هنـا واضح قد يستنتج منه البعض ما يحلـو له أن يستنتج، ولكني هنا أترفع عن الاستنتاج غير القائم على ما يوثقه . . .

★ وفي حديث مع منسوبي وزارة الشباب (٣١/ ١/ ١٩٧٩م) يقول الحاكم في العراق: «يصعب علينا خسارة إنسان واحد مخلص في العراق والوطن العربي». ونحن نؤكد دائماً أن الحكماء يفضلون أن تتحدث أفعالهم بدلاً من أقوالهم. وغير الحكيم من يناقض قوله فعله. والقائل هنا ملطخ بما يناقض قوله، غارق فيه، مستمر عليه في العراق والوطن العربي.

★ وفي اجتماع موسَّع للاتحاد العام لشباب العراق في ١٥/ ٢/ ١٩٧٦م قال: «إننا نطمح لأن نجعل كل شعبنا في الوطن العربي بعثيًّا وبنفس الطريقة». ويبدو أنه يريد الطريقة نفسها التي حاول فيها تحويل العراق إلى البعث، وامتد ليشمل الكويت وبقية دول المنطقة، وهي الطريقة التي سيدفع ثمنها غالياً.

★ وقد اجتمع مع وفد من جمعية المعلمين الكويتية في ٢٩/ ٧/ ١٩٨٥م وخطب فيهم خطبة، منها هذه الاقتباسات التي لا تحتاج إلى وقفات طويلة ولكنها توحي بمدى عدم الثبات على المبدأ:

أ ـ «إن كل عربي في أي مكان كان عندما يسمع أن الكويت يهدد من أجنبي، هو تهديد قائم على الباطل، ينتفض من أعماقه دفاعاً وتضامناً مع شعب الكويت بأية صورة من الصور».

ب ـ « إن الشيخ جابر وشعب الكويت مؤمنون شجعان ».

جـ ـ «إن الكويت قوي؛ لأنه على حق ولأنه وطن ولأنه عربي».

د ـ «توهم المعتدون التوسعيون المخربون بأن في إمكانهم أن يبتزوا شعب الكويت وأمير الكويت من خلال الانفجارات التي يقومون بها».

هـ ـ «هذا هو الفكر العربي الصافي المنطلق من الاعتزاز بالكويت الشقيق أرضاً وشعباً».

وهنـاك أقوال كثيـرة أخرى رصـدتهـا الصحف وامتلأت بهـا الكتب التي تحدثت عن حكمة وقيادة الحاكم في العراق ووصلت الكتب التي ترجمت له رسميًّا إلى مائة وواحـد وثلاثين كتاباً (١٣١) بالعربية وغيـر العربية. لقد قلت إن الأزمـة أبـرزت على السطح الـوهن الـذي كـان مختفيـاً ردحـاً من الزمن، أو لا أقول الآن الذي كان مخفيًّا ردحاً من الزمن.

الثقافة .. وجُذور الأزمة ... !!

ما معنى أن يكون الإنسان مثقفاً؟ هناك أكثر من مائتي تعريف للثقافة والمثقف. وقالت العرب في القديم عن الأديب إنه من يأخذ من كل فن بطرف. فالذي يعرف شيئاً عن كل شيء يسمى أديباً، وهو المثقف هنا. والذي يعرف كل شيء عن شيء واحد هو العالِم. ويستحيل اليوم أن يعرف شخص كل شيء عن شيء واحد ولو أصبح مرجعاً فيه، وذلكم لسعة العلوم وترابطها وتداخلها مع بعضها. كما يستحيل أن يعرف شخص شيئا عن كل شيء اليوم أيضاً لتعدُّد العلوم وتفرعها وتطورها وتعدد ارتباطها. ولكن الشخص واسع الاطلاع في فنون شتى من فروع المعرفة هو الذي يمكن أن يطلق عليه ـ فيما يبدو ـ القول بإنه مثقف.

وليس بالضرورة أن نَسِم شخصاً «تخصص» في الأدب الإنجليزي أنه مثقف، فقد يصدق عليه أنه متخصص في الأدب الإنجليزي. وإنما يسمي البعض هذا المتخصص مثقفاً لأنه يردد بعض الأسماء الإنجليزية اللامعة في الأدب من القدماء والمحدثين، والأدب الإنجليزي اكتسب عالمية في الأدب وليس في الثقافة.

وتقمص آراء الأدباء الذين اكتسبوا عالمية ـ بحكم عالمية لغتهم ـ لا يعني بالضرورة أن المتقمص قد أضحى مثقفاً، بل ربما وصم بالتقليد للأجنبي تاركاً موروثاته التي ينتمي إليها بحجة محليتها، وعدم تعبيرها عن شمولية متوخاة منها على زعمه، بينما الأحرى أن تعبر عن المحلية قبل أن تخرج شاملة لمشكلات العالم الصادق منها والمفتعل.

وقد مرت بالعرب فترة من الزمان قلت فيها الثقة بموروثاته العقدية والأدبية والثقافية والفكرية، فبحث بعض المطلعين العرب عن البديل، ووُجد بينهم من ساقهم إلى البديل من عرب لا ينتمون إلى العقيدة والثقافة التي يدين بها العرب أغلبهم. وكانت هذه القلة من العرب امتداداً غير واضح المعالم للحملات الموجهة ضد العرب، على اعتبار أنهم جزء فاعل في العالم الإسلامي ويملكون نصيباً كبيراً من الموروث الإسلامي من وجود المساجد الثلاثة، وكون المنطقة منطلق الرسالات، وكون رسالة محمد ﷺ جاءت بالعربية.

ولكن القلة العربية استطاعت أن تنفذ في الكثرة وتؤثر في جزء غير يسير فيها على المستويات العلمية «الأكاديمية» وعلى المستويات السياسية من قادة وزعماء عرب، وعلى المستويات الاجتماعية من «مصلحين» اجتماعيين تزعموا فكرة الخروج على ما تمليه ثقافة المسلمين عليهم من نظرة شاملة للحياة.

ومن إفرازات هذه الوجهة قيام دعوة صريحة إلى اعتماد العربية قاسماً مشتركاً بين العرب يجمعهم اللسان. وليكن هذا الجمع على حساب المعتقد على اعتبار أن المعتقد متعدّد إذا ما أتيحت الفرصة للإلحاد وأنواعه أن يكون طرفاً في تعدُّد المعتقد.

وتبنى زعماء عرب هذه الوجهة فحلوا قومهم دار البوار عندما قدَّموا اللسان على الروح فضاعت هويتهم، فلم يبقوا على الانتماء الروحي، ولم يستطيعوا الرقي بالعربي أبعد من مجرد رفع الشعارات.

ومن المؤلم أن يرسم طريق هذه الوجهة ثلة من نصارى العرب، ممن ظهروا على الساحة أو ممن جعلوا من بعض المسلمين متحدثين على

ألسنتهم. والمؤلم كذلك أن يؤكد في رسم طريق العروبة على العنف في تحقيق الأهداف، و إن أدّى الأمر إلى الاجتياح والهدم وسفك الدماء. وهذا تماماً ما حصل من قيادة حزب البعث في العراق على الكويت، وما يمكن أن يحصل تبعاً من القيادة نفسها للبلاد الأخرى المجاورة التي تتبنى أفكاراً عقدية إسلامية رأى فيها الراسخون لخط العروبة أنها هي وحدها العائق أمام تحقيق قومية عربية تكون بديلاً للمعتقد الإسلامي لتحقق بهذا إنجازات «تنصيرية» لم تستطع الحملات الصليبية التسع ــ ومن بعدها الاستعمار ـ أن تحقق شيئاً يسيراً منها. ولا يبدو أن هناك أفضل طريقة للوصول إلى الهدف من تسليط أهل المعتقد نفسه عليه، وتسليط من يستظلون بظله عليه. والفكرة تحتاج إلى مزيد من الضوء.

الشباب.. في مواجهة الأزمات.. !!

قبل سنين معدودة حلت بإفريقيا موجة من الجفاف فتحت أبواب الهجرة إلى الشمال، فقدم على السودان مجموعات جائعة، منهم من وصل إلى محطته الأخيرة . . ومنهم من قصر دون ذلك وأسلم الروح وهو في الطريق من شدة ما أصابه من الوهن والضعف والهزال نتيجة الخوف والجوع، في هذه الأثناء هبت مجموعة من الدول في محاولة لإنقاذ ما بقي ـ أو من بقي ـ من أولئكم الجياع . وكان من بين هذه الدول المملكة العربية السعودية، حيث أسهمت ممثلة في الهلال الأحمر السعودي ببذل الكثير من المؤن والدواء والرجال .

وكان هنالكم مجموعة من الشباب قضوا إجازتهم الصيفية في السودان بين القرى والمخيمات يحملون الخير على ظهورهم في مواقع لا تصلها السيارات . . وضرب الشباب في هذه البلاد مثلاً رائعاً لما هم عليه من الإدراك والإحساس بالمسؤولية، في الوقت الذي تنهال فيه عليهم الاتهامات من قريب أو بعيد بأنهم شباب خُنَّع لا خير فيهم! ! وأنهم مالوا إلى الترف والنعومة ونسوا الرجولة والشهامة وليس فيهم شيء من المروءة . . وهذه الاتهامات ناتجة من بعيد عن فئة حسدت هذه المنطقة على ما هي عليه من الخير والاستقرار. فاتهمت الحكومات بكيل من التهم، واتهمت الشباب بكيل من التهم كذلك، ولم تسلم منهم النساء فوصلهن من التعريض ما وصلهن . . وهذه الاتهامات تظهر أحياناً من قريب من بعض المخلصين الذين يشهدون من الشباب مواقف لا تليق بهم . . وهم يشهدونها من «بعض» الشباب وليس من «كل» الشباب . . ومهما رأوا من البعض فإنه لا يصدق عليهم التعميم مهما وصل الأفراد بتجاوزاتهم .

وعندما فاجأت القوات العراقية الكويت وأهل الكويت في ليل صيفي حالك في شهر من أشهر الله المحرَّمة، وبعد صيام عاشوراء، والناس مقبلون على يوم من أيام إجازة الأسبوع. . وعندما بدا أن قوات العراق تتجه أيضاً إلى حدود المملكة العربية السعودية سعياً وراء تحقيق رغبات هي أحلام صوّرها الحسد والبغي والعدوان. . وعندما تحقق أن القوات المضللة في العراق ستعيث في الأرض الفساد. . عند هذا كله وجدت الشباب يطرحون عنهم كل الاتهامات ويسارعون أولاً إلى نجدة إخوتهم وأخواتهم في الكويت على الحدود السعودية، وفي السعودية على الحدود الكويتية. . ووجدتهم قد أخذوا معهم الزاد والراحلة المناسبة ينقذون العائلات التي «غُرست» سياراتها في الرمال أو تاهت في صحراء النفود أو تعطلت ركوباتها. . وجدتهم خير معين بعد الله لهذا الشعب الذي فزع طعناً من الخلف في الوقت الذي يتطلع الجميع فيه إلى الاتجاه لبيت المقدس. . وضرب الشباب في هذه الأزمة أروع المثل.

ولم تقتصر جهودهم على «عمليات» الإنقاذ السريع، بل وجدتهم يسارعون إلى الإسهام في خدمة إخوانهم وأخواتهم الذين حلوا على البلاد. . بلادهم ضيوفاً في أماكن مؤقتة، حتى تهيأ لهم أماكن أكثر استقراراً إلى حين عودتهم ـ بإذن الله تعالى ـ إلى بلادهم يصحبهم الشباب ليعيدوا بناء ما أتلفه العدوان القادم من أرض العراق. . فوجدت الشباب في هذه المجمعات السكنية خير معين. . وهم لا يزالون على ذلك.

وعندما تحقق أن الحاكم في العراق يرغب في التوسع على حساب سيادة الدول واستقلالها واستقرارها ليقتحم الحدود السعودية وجدت الشباب يسارعون دون تردد إلى مراكز التدريب والتجنيد التي انتشرت في

البلاد قصداً إلى الدفاع عن أرض المبادئ . . ووجدت الوجوه قد تغيرت في نظرة من اتهم الشباب بالخنوع . . ووجدت الشباب يقفون وراء قياداتهم صفًّا واحداً يرهبون عدو الله وعدوَّهم . . وهم بهذا يعطون الصورة الصادقة لما عليه شباب هذه البلاد .

والموضوعية البعيدة عن تغليب العاطفة والحماس تدعونا إلى ذكر فئة قليلة من الشباب لا تزال لم تقرر الانخراط في هذا الصف المتماسك . . ولكنها في طريقها إلى الاصطفاف ، لتبطل بطلاناً ظاهراً كل وسمة نقص يرمى بها شباب المنطقة . . ليس في المملكة العربية السعودية فحسب ، بل في منطقة الخليج العربية بشكل عام . . ولعل الجميع قد سمعوا ويسمعون بالبطولات التي يُسجلها شباب الكويت وشباب في الكويت من غير الكويت في المقاومة الوطنية التي ربما لم يحسب لها الحاكم في العراق أي حساب يذكر . . فقد صورت له الكويت أرضاً خصبة لمبادئه التي أعمته عن النظر إلى الدنيا بواقعية صادقة . . فوجد أن الكويت كلها وراء قيادتها . . ولم يصمد معه إلا أولئكم الذين يرون لهم نفعاً ذاتيًّا في دعمه من غير أبناء الكويت . . وعلى أية حال فليس الناس من فصيلة الملائكة . . ففيهم المرتزقة وفيهم من يقتادون إلى الشيطان على حساب البلاد والأرض التي يرجع لها الفضل ـ بعد الله ـ في إيصالهم إلى ما وصلوا إليه . .

إنك تقابل الشباب وهم في زيهم التدريبي وترى الرؤوس منهم مرفوعة عالية ، يعلو الوجوه زهو وفخر واعتزاز . . وكأنهم ينادونك ليخبروك أنهم هناك موجودون مستعدون . . جاهزون ينتظرون الأوامر . . ورغم عدم الرغبة في الحرب . . وعدم الدعوة إلى الحرب . . وعدم تمني لقاء العدو إلا أن

هذه النماذج الحية تعطي الآخرين الانطباعات بأن يفكروا كثيراً كثيراً قبل أن يبدأوا التفكير ــ مجرد التفكير ــ في تدنيس أرض المبادئ بأطماعهم وتطلعاتهم . . وبما يصوره لهم منهجهم ومنطلقهم . .

ولا نقول إنهم هم مصدر الاطمئنان والأمان . . ولكنهم هم من الأسباب التي تُعدُّ لتوفير الأمان والاطمئنان على النفس والعرض والمال . . أما مصدر الأمان والاطمئنان فهو الباري ـ جلَّ وعلا ــ الذي يهيئ مع هؤلاء الشباب من يقف معهم وحولهم ويعينهم على الرمي إذا رموا . . وهذا هو المتوقع من الشباب الذين وقفوا في وجه الأزمات . . ولا يزالون يقفون . . وفق الله هذه الشريحة الفاعلة في مجتمعنا . وكان الله في عون الجميع .

تاريخ ما بعد الأزمة..

أحياناً يطلب من المرء عدم الاستمرار في الخوض في موضوع أصبح في ذمة التاريخ. . ولكن الموضوع الذي شغلنا وأشغلنا لا يمكن أن يترك في ذمة التاريخ فهو موضوع ساخن. . والوقفة معه ينبغي أن تطول كثيراً. . وينبغي أن يفتح المجال واسعاً في وسائل الإعلام للحديث عنه. . وينبغي أن تقوم الجامعات والمعاهد العليا على المستوى العربي والإسلامي بدراسة هذه الفترة التي مرت بالطريقة التي تتسم بها الدراسات العلمية الأكاديمية، حيث تسيطر الموضوعية ولا يكون للسطحية والعاطفة هنا مجال.

ولا شك هنا أن العرب عموماً، وأن عرب الخليج بخاصة، قد طعنوا من الأمام طعناً بليغاً. . أحدث هذا الطعن من الأمام جرحاً عميقاً، فمن الخير المساعدة على الجرح أن يندمل من خلال تفريغه من القذارة التي علقت فيه، وسيزداد عمقاً إذا ما قيل إن الأمر يقتضي النسيان وفتح صفحة جديدة.

لقد تأثرت في هذه الفترة توجهات كثيرة كان بعض منها يرى في النظام العراقي الحل العربي، فوجدناها تتبرأ من النظام وتبرئ التوجه من النظام ولا بد من الغوص في هذا وعدم قبول هذا الادعاء لمجرد إطلاقه في وقت نحن فيه بحاجة ملحة إلى صدق الانتماء.

ومثل هذا يصدق على توجهات أخرى ساندت الظلم! لأنها ربما لم تر ظلماً، أو لأنها آثرته ظلماً لأسباب ذاتية أو شخصية، أو لأنها آثرته ظلماً

رغبـة في الكسب، ليس المـادي فحسب، بل والسياسـي كذلك، وهـذه توجهات أقل ما كان يتوقع منهـا أن تسكت إن كانت غير قادرة على تحديد موقف مبدئي، وهنا تحطمت الادعـاءات ونسيت المبادئ أو ظهرت بعض التوجهات على حقيقتها.

المهم أن الفترة التي مـرت لا ينبغي أن تترك بعد أن تحقق النصـر وانهزم البـاطل فهذا لا يكفي؛ لأن الخشيـة هنـا أن يظهر ظـالم آخـر وآخر إذا مـا رُغِبَ في تناسي المـوضوع والخـوض في مجالات أكثر حيـوية وأكثـر بناء وأكثر نظرة إلى المستقبل.

وأظن أننـا خرجنـا من تلكم الفترة وبـدأنـا بفترة أكثـر إعضالاً من الفتـرة المـاضيـة؛ لأن المشكلـة في الفتـرة التي مضت كـانت مـاديـة واضحـة، والمشكلة التي قـد نخوض فيها بعـد النصر ستكون مشكلة أفكـار ومشكلة مصـداقيـات ومشكلـة انتماء، فـلا بـد من تعميق الانتمـاء والتـركيـز على المصداقية، وخصـوصا أن الطرف الآخر كان يـرمي أصحاب الحق والعدل بأوصاف ونعـوت تبين بطلانهـا ـ بفضل الله ـ بعـد النصر، بل تبين صـدقها على المعتدي بما لا يدع مجالاً للشك من خلال مطالبات المعتدي برد ما أنفقه على من اشتـرى منهم التأييد. . والذين أيـدوا المعتدي بحاجـة اليوم إلى من يأخـذ على أيـديهم، ليس من بـاب الشمـاتـة بهم ولكن من بـاب تذكيرهـم بمـا وقعوا فيه ومساعدتهم في الخروج من هـذا المأزق الذي يجزم كثير من المحتالين أنهـم لم يكـونوا قد وقعوا فيه لو لـم يكن للعـاطفة سيطرة قوية على إعمال العقـل.

ويبدو أن مؤيـدي الظالـم قد أدركوا ـ أو بدأوا يدركون ـ خطـورة ما ذهبوا إليه وهم بحـاجة إلى من يـؤكد لهم هـذا الإدراك أكثر من حـاجتهم إلى من

يحاول أن يبسط لهم المبررات ويسرد لهم المسوغات التي لن يبدو منها أن تكون على مستوى الإقناع بنسيان هذه المواقف التي وقفوها .

ومن باب رأب الصدع أن يعترف المخطئ بخطأ سار عليه فترة غير يسيرة، ومن باب التلاقي أن يقال للمسيء أسأت كما يقال للمحسن أحسنت . . وقد وصل الأمر من العمق والتأثير درجة تدعو إلى عدم الوقوف عند بداية الطريق، ودرجة تدعو إلى المكاشفة وطرح القضايا بكل صدق ومباشرة .

هذا في الوقت الذي نلتفت فيه إلى ما بعد الأزمة فنستمر في مقومات التنمية في مجالات مختلفة أهمها الإنسان العربي الذي كشفت هذه الفترة أنه يحتاج إلى مزيد من الوقت ليسمو ويتمسك بعجلة الحضارة محاولاً أن يجد له فيها مقعداً قبل أن يفوت الوقت .

وتأتي هذه الوقفة امتداداً لوقفتين سابقتين، فيها دعوة إلى تقويم مرحلة ما قبل الأزمة . . وتقويم فترة الأزمة التي امتدت مائتين وأحد عشر يوماً . . ولن يتم هذا التقويم إلا بتوافر المعلومات وتحليلها ودراستها والخروج منها بالنتائج التي ستفيد في بناء المستقبل، هذا ما أعتقده وأدعو إليه وربما أكون ممن أخذوا هذا الأمر بحساسية مفرطة، ولكن القناعة هنا أن هناك صعوبة غير يسيرة لتناسي ما حدث، رغم أن النسيان يعين على المضي قدما . . وكان الله في عون الجميع .

وإذا النجـوم أفلت...!!

ظهرت في سماء العرب مجموعة غيـر يسيرة من رجال الفكر والسياسة، كانت محط الأنظار ومسقط الأضواء في مواقف عدة. وكان الوضع المعلق بين الحرب والـلاحرب كفيلاً بتلميع هـذه النجوم وإسباغ ألـوان من الشهرة عليها..

ثم غزت القوات العراقية الكويت في مطلع هذا العام الهجري، وحصل للكويت والعرب وللمسلمين والعالم ما حصل وما يزال يحصل من الوقوف على فوهة برهان غير طبيعي صنعه بعض هذه النجوم التي كانت تسطع في الأجواء العربية.

ومع هذا الغزو وقف الفكر حائراً غير قادر على تحديد موقف واضح من الأزمـة، خصـوصـا مع بعض هـذه النجـوم التي تغنت منـذ زمن بـالقيـادة الحكيمة لزعيم العراق الحالي وبتطلعاته إلـى وحدة عربية شاملة تقوم على التقـريب في وجهات النظـر والالتقاء جميعـاً للسيـر في خط واحد تقـوده المصلحة العربية ـ أو المصالح العربية المشتـركة ـ وخدع هؤلاء ولدغوا من أكثر من جحـر حينما كـانت تصريحـات الرئيس العـراقي تؤكـد أن العراق سيقف مع أية دولة يحصل لها اعتداء من أية دولة أخرى. وإن كانت الدولة المعتديـة عربيـة، بل إن التصريحات تعـدت التأكيد على هـذا المبدأ إلى مـزيد من التخصيص حينمـا ذكـر الرئيس العـراقي الحـالي أنه إذا اعتـدت العراق على أيـة دولة أخرى فإن الدول العـربية مطالبـة بأن تجيش الجيوش لصد هذا الاعتداء وإيقاف العراق عند حدها.

مثل هـذه المقولات المعلنة جعلـت جزءاً غيـر يسير من مفكـري العرب يجدون ضالتهم في رئيس العـراق، حينما كانوا يبحثـون عن زعيم يرفع لواء العروبة ويفرض بسلطـانه الأفكار المبثوثة على الورق من مبـادئ عربية هي حصيلة فتـرة من الزمن كان الناس جميعـاً ـ وفيهم المفكرون ـ يبحثون عن مخرج يجـدون من خلاله هـويتهم عندما ابتعـدوا عن الأسس التي حددت الهوية من قبل.

والـذين «تنجموا» في هـذا الميدان انقسمـوا إلى فئات، أظهـرها اثنتـان بـارزتـان على السطح: إحـداهما تلكم الفئـة التي نـاصـرت الظـالم على ظلمـه، ليس من المنطلق الإسلامي الـذي يشير إليـه الحديث الشـريف: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» بل من منطلق فكري يسمح بتبرير هذا الغزو وأنه خطوة أولى تتبعها خطوات تمهيديـة لتحقيق أهداف حزبية لا يراد منها أن تتحقق إلا عن طـريق العنف والإرهـاب، فـي الـوقت الـذي يـراد من المفكـرين إقناع غيـرهم بأفكارهم بـالطرق الفكـرية المعهـودة منذ أن بـدأ الإنسان بـالتفكير أي منـذ أن خلق الله آدم ـ عليه السـلام ـ وعلمـه الأسماء كلها، إلا أن هذه الطائفة غلبت الرغبات على مجرد التفكير وربما ساعدها على هذا المنهج تعصب أعمى لفكرتهـا ـ أو أفكارها ـ وأعانهـا عليه موقف سـابق الإصـرار على أن من لا يسيـر على النهج الـذي يسيـرون عليـه يُعـدُّ بالضـرورة عدوًّا للفكـر وعائقاً لتقـدمه وانطـلاقه، فلا بـد من طريقـة مهما كانت للتخلص من هذه النمـاذج التي تعيق الحركة (التحرريـة) (التقدمية) (الـوحـدويـة).. والتأكيـد هنـا ينصب على وضع هــذه الشعـارات بين الأقواس.

والطائفة المتنجمة الأخرى هي التي أدركت سوء التصرف الذي قام به رئيس العراق. وما كانت تظن أن أمر الشعارات يرقى إلى هذا المستوى من محاولة إزالة شعب بأكمله من الخريطة العربية، وهذه الفئة آثرت السكوت أو التنصل من سوء ما قام به في الكويت، فالذين آثروا السكينة من هذه الفئة صدموا، ولكنهم ـ لا يزالون ـ لا يملكون الشجاعة ليعلنوا تراجعهم عن الانصهار في «البوتقة» التي يسير عليها الحاكم في العراق ومن يقف معه ووراءه، وهم يحاولون إعادة ترتيب أوراقهم بحثاً عن مخرج من هذا المأزق، ويحق أن يقال عن هذه الفئة إنها خدعت بالشعارات، ولهثت وراء التأثير لعوامل نفسية واجتماعية وربما سياسية فوقعت في الشرك واستمرت فيه رغم ومضات من الوضوح تمر على هؤلاء بين الفينة والفينة، إلا أن عوامل العناد والمكابرة تحول دون إعطاء هذه الومضات أثراً في إنارة الطريق للوصول إلى الهداية.

والذين آثروا التنصل من فعلة رئيس العراق عمدوا إلى التبرؤ من الرجل وأنه خرج على الخط الذي يسير عليه الحزب أو التجمع، وأنه أضحى يمثل نفسه ومن هم تحت سيطرته من المنتفعين أو الخائفين، أو الذين ارتبط مصيرهم بالطأطاة والتنفيذ دون أن يكون هناك مجال للمشورة أو إبداء الرأي أو المبادرة بالاقتراح. ويعلم هؤلاء أن تنصلهم هذا مصطنع لا يعبر بالضرورة عما يكنونه ولا يعلنونه إلا لخاصة الخاصة والمتمثل بارتياحهم لما حدث، ولكن الذي يجعلهم يتبعون أسلوب البراءة من الرجل هو أن تفكيرهم قد هداهم إلى أن ما قام به الحاكم في العراق لا يتوقع له شيء من الاستمرار، بل ينتظر له الفشل الذي سيؤثر على النهج الذي سار عليه الرئيس العراقي، ولذا كان لا بد من اللجوء إلى طريقة تجعل هذا التصرف تصرفاً شخصيًّا لا علاقة له بما تتبناه الحكومة في العراق. ويساعد على

ترسيخ هذه الفكرة اتهام الفاعل بالخروج عن العقل والخروج على الخط. فانبرت مجموعة من النجوم العربية تؤكد هذا وتنبه الناس إلى عدم نزع ثقتهم من الشعارات التي كانت تتردد ولا تزال.

والنجوم التي أتحدث عنها هنا كثيرة في سماء العرب. وذكرها مفصلة بالأسماء تصرف لا تقتضيه الحكمة، إذ قد يرد اسم لا ينطبق عليه هذا التصنيف أو ذاك إلا في ذهن من يريد ذكر الأسماء، فيتبين أن الاسم المذكور بريء من التصنيف فيقع الظلم من ناحية، ويتحمل ذاكر الأسماء ما يمكن أن يتبع هذا الأسلوب من مغبة نظامية «قانونية» أو فكرية أدبية، وتكون هذه السقطة حجة على الراغب في ذكر الأسماء لا حجة له. وجانب آخر هو أن هذه الأسماء ليست صريحة صراحة تحمل إلى الجزم بأنها يمكن أن تصنف من هذه الفئة أو تلك الطائفة.

على أن هناك طائفة ثالثة متأخرة جدًّا ولا إخالها تستحق الوقوف عندها كثيراً إلا لدواعي التصنيف والتنويه. وهي الطائفة المأجورة من أولئك الذين ينطبق عليهم مصطلح المفكرين، بينما هم مجموعة من المطلعين الذين سخروا سعة اطلاعهم للكسب المادي الصرف، وما قد يتبعه من إعطائهم شيئاً من الوجاهة المتصنعة التي يدركون هم أنها مفتعلة، ولكنها ترضي شيئاً في أنفسهم، وتغطي جوانب من النقص والضعف في شخصياتهم. هذه الفئة الثالثة هي التي قال عنها الشاعر العربي أنها من غزيَّة إن غوت غزيَّة غوت الطائفة و إن رشدت غزية رشدت هذه الطائفة، والمؤسف هنا أن هذه الطائفة المتأخرة تنال حظًّا من السماع في الشارع العربي، رغم المحاولات الجادة لإبراز الموقع/ المواقع التي تقف عليها هذه الفئة المأجورة والدوافع التي تنطلق منها. والمؤسف أيضاً ـ ولكنه أمر واقع ـ أن

يبـاع القلم، ويستباح الفكـر، ويسمح المـرء لنفسـه أن يكون في مـواقف تـدعو إلى التقلب والسيـر وراء التيار الـذي يـدفع أكثر ويستقطب أسـرع. ولكن حبل هذه الفئـة قصير، ولا تلبث أن «تركـز» في غرفة المحفـوظات أو «الأرشيف» تجتر ما اكتسبتـه في زمن الفتنة وتحاول قرع أبـواب أخرى داعية إلى مـزيد من الفتـن تكتسب من ورائها، ولكنهـا تكـون قد استُهلِكت فـلا يكون لبروزها معنى ولا يكون لوجودها فائدة ما استمرت على هذه الطريقة.

الأزمة.. والبحث العلمي..!!

لا تزال ــ في نظري ــ الجامعات السعودية والخليجية والعربية تعيش حالة من «الصحوة» بعد الأزمة . . وهي لم تسهم ـ حتى الآن ـ بشيء علمي يعالج ما بعد الأزمة من آثار ومؤثرات . . وأظن أن المجتمع الخليجي بخاصة بحاجة إلى أن تقول الجامعات كلمتها العلمية الأكاديمية حول ما يتوقع أن تكون عليه الحال بعد تحرير الكويت، وما كانت عليه الحال أثناء احتلال الكويت .

وقد أسهم الإعلام الخليجي والعربي في معالجة الأزمة أثناء قيامها حسب توجه هذا الإعلام أو ذاك . . ونحن ندرك بموضوعية أن إسهامات الإعلام السريع غالباً ما تكون سريعة لم تُخضع الأحكام فيها إلى التوثيق والاستشهاد وطرح القضايا طرحاً علميًّا متجرداً . . ولا يتوقع منها هذا، إذ المنوط بهذا هي الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية العالية . .

والمتوقع الآن أن تقوم الجامعات الخليجية بعامة بنشاط علمي مكثف في معالجة ما حصل وما قد يحصل . . خصوصا أن جامعات أجنبية قد بدأت تقيم الندوات وتعقد المؤتمرات . . وكانت الأبحاث العلمية التي قدمت ونوقشت . . والأولى بالجامعات الخليجية أن تقوم بهذا العمل، ولكني هنا أصر على النظرة العلمية التي أريد أن أفرق بها بين الإسهامات الإعلامية السريعة والدراسات المتأنية التي تعتمد مناهج البحث وطرقه في تحقيق هدف أو الوصول إلى حلول لمشكلة من المشكلات التي نتجت عن الأزمة . .

وربما يجد المرء شيئاً من العذر لهذه الجامعات إذا كان عامل الوقت مقصودًا في هذا التأني الذي يحتاجه الباحث والدارس في إعداده للدراسة المناط هو بها .

وهنا مجالات شتى حصلت أثناء الأزمة وبعدها تحتاج إلى الدراسة وهي حقًّا تستحق الدراسة ، فالبيئة تضررت ، والبنية الأساسية للكويت تضررت ، والنفسيات الكويتية والخليجية والعربية والمسلمة تضررت ، والمجتمع الكويتي بخاصة تضرر ، والتعليم والتربية في المنطقة نالها ما نالها . . وغير هذه من المجالات التي ترقى إلى مستوى الدراسات الموضوعية .

ولعل من المبررات التي تؤيد الدعوة إلى الجامعات الخليجية للدراسة هو أن الأمر يعنيها بالدرجة الأولى ، إذ هي تخدم المجتمع المتضرر ، وهي أيضاً تملك من الخبرات العلمية ذات الاطلاع المباشر على ظروف البيئة المدروسة من النواحي الثقافية وجوانب العادات والتقاليد مما يجهله أولئك الذين يدرسون المنطقة عن بعد ممن لا تتوافر فيهم الخلفيات الإقليمية المطلوبة . ولعلنا نسمع في القريب عن الندوات والمؤتمرات وحلقات البحث يعلن عنها في مدة كافية لإعداد ما يلزم لها وما يناسبها من البحوث والدراسات ، فليس من المتصوَّر أن تمرَّ الأزمة دون أن يدلي البحث العلمي بدلوه فيها .

الاستقرار.. ومثاليّة الواقع..!!

النموذج المثالي الذي يتردد دائماً في بسط العدل والاستقرار والأمن هو ذلكم الموقف التاريخي الذي عاشه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ـ الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين، حينما جاءه رسول من إحدى الإمبراطوريات المجاورة التي كانت تعبث في هذه الدنيا، وتستعمل مقدرات شعوبها في الترف، والعيش في أبراج عاجية، تلكم التي مثلها «تشارلز ديكنز» في روايته «قصة مدينتين» حينما داست الجياد على طفل من أطفال الفلاحين، فاحتج الفلاح بتوسل للإمبراطور الراكب على العربة، فما كان من هذا الرجل الأرعن إلا أن يسأل بكل صفاقة «وهل أصاب الجياد سوء ؟» جاء هذا الرسول يبحث عن عمر فأشاروا إليه، فما صدَّق الرسول، ولكنه ذهب إلى ذلكم الرجل المضطجع في ظل شجرة في مدينة رسول الله ﷺ فنظر إليه، وعادت به الذاكرة إلى أسياده الذين يمارسون معه ومع قومه أصنافاً من الاضطهاد، فقال عبارته الخالدة : «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر».

■ ورغم أن المعيار المادي لتحليل هذه العبارة سيتوقف عندها كثيراً سعياً إلى نقضها ومسخها من التاريخ قياساً بواقع عربي قاتم أو استبعاداً لواقع قد حصل في عهد صدام حسين، إلا أننا سنأخذ بأضعف ما توحي به العبارة، وهي أن الأمن والاستقرار والعدل قد بسطت أطنابها على ذلكم المجتمع الذي نعلم عنه مما نعلم مقولة عمر نفسه ــ رضي الله عنه ـ وهي خالدة أيضاً : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» . وبسبب

رسوخ هذه الدعائم بعد توفيق الله تعالى شهد عهد عمر بن الخطاب أوسع انتشار للإسلام في سنين معدودات، ويعني هذا أوسع انتشار للعدل في تلكم الأيام الأولى للدعوة.

■ ذلكم النموذج المثالي لا يعني بحال الرقي بمثاليته إلى الحد الذي يستحيل معه أن يكون قائماً في الواقع؛ لأن الأمر قد حصل ووقع وأصبح تاريخاً، يعتبر به، ويتردد في مواقف تدعو إلى ترديده، ولذلك يمكن أن يصدق عليه أنه واقع مثالي أو مثال واقعي دعا عمر بن الخطاب نفسه إلى أن يعلن أنه لو تضررت بهيمة في العراق لخشي الخليفة في المدينة أن يحاسب عليها.

■ ولسنا هنا نلمح إلى الحاجة إلى مثل عمر بن الخطاب في القرن الخامس عشر الهجري نتيجة يأس أو قنوط لأننا بفضل الله تعالى نعيش حالة من العدل والأمن والاستقرار في هذه البلاد جعلت منها مثالاً واقعاً لهذا العيش، لا تكاد تعيشه بلاد أخرى على وجه المعمورة تعاصرنا وتمر بما نمر به من ظروف. ولكننا هنا ننظر يمنة ويسرة وننظر إلى البهائم في العراق التي حجبنا عنها النظر إلى الناس في العراق الذين وصلوا إلى حد أنهم نسوا هذه المفهومات من العدل والأمن والاستقرار والحرية والحق، وما عادوا يسمعونها إلا شعارات يكثر ترديدها في قيادة مجلس الثورة. حتى كلمة «الثورة» أصبحت من القداسة بحيث يستحق من يتعرض لها بسوء، ويُضايَق من لا يرى فيه ميول لقيادة المجلس وللمنطلقات الحزبية التي يتبناها المجلس. بل إن انعدام الأمن والاستقرار والعدل وصل إلى أخلص المخلصين للمنطلقات الحزبية، إذا ما لوحظ عليهم سمات البروز والشعبية، والذين قرأوا مذكرات حردان التكريتي عليهم أن يعيدوا قراءتها،

والذين لم يقرأوها بعد عليهم قراءتها. ويكتب مهدي العكيلي في مجلة الوطن العربي قصة حياة عدنان خير الله طلفاح التكريتي في حلقات كانت قد بدأت في العدد ١٧٠ ـ ٦٩٦ الصادر يوم الجمعة ٢٢/ ١١/ ١٤١٠هـ الموافق ١٥/ ٦/ ١٩٩٠م ـ التاريخ الهجري غير معتمد في المجلة! ـ وهذه الحلقات مشروع كتاب لعله صدر الآن بسبب الأزمة التي بدأها الرئيس العراقي في ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، وسيكون عنوان الكاتب «عدنان خير الله طفاح: الفارس الذي ترجّل صعوداً» ولا يقتصر الأمر على هذا الرجل المغدور به وبأهله فالمغدور بهم كثير، ولكن القياس هنا بالرجل المغدور به وتكرار التمثيل به في هذه المقامات هو أنه كان رفيق حاكم العراق في الطفولة إلى النصر، كما يؤكد العكيلي في حلقاته في مجلة الوطن العربي وهو قريب، بينه وبين الرئيس رحم ونسب وتزاوج واتفاق وطريق طويل من مشوار الوصول إلى السلطة. إذا فقد الأمن والعدل والاستقرار بين الزملاء و«الرفاق» فأين يبحث عنه المواطن العادي الذي يحق له أن يلتمس موجبات مواطنته وعيشته في بيئته وانسجامه مع منطلقاتها الثابتة غير المؤقتة ولا المستجلبة المستوردة الغريبة عنه وعن أهله وتراثه وماضيه وحاضره ومستقبله.

■ إن نعمة الأمن والاستقرار والعدل بين الناس ليست مفقودة في العراق فحسب؛ إذ المسألة هنا مسألة مبدأ يتحقق معه مفهوم الأمن والاستقرار والعدل إذا تحقق هذا المبدأ، وتنتفي معه هذه المفهومات إذا حصل خلل في المبدأ. ذلكم هو المبدأ الذي عاش عليه عمر بن الخطاب، وعاشت عليه الأمة قبل عمر بن الخطاب وبعده ـ رضي الله عنه ـ.

■ ويتعجب المرء حينما يسمع بالأخبار أن متمرداً كان لا يمثل تهديداً واضحاً لبلاده يزحف عليها في فترة محدودة ويستولي على المرافق الحيوية

فيها ويضطر حكومتها ذات السيادة إلى الابتعاد عن العاصمة ريثما تعيد صفوفها مرة أخرى، فيبقى القلق مستمرًّا في البلاد وتتعثر حركة البناء والتعمير والتنمية، وينعدم الاستقرار والأمن، ويوجد في هذا الجو أولئك المنتفعون من هذا الاضطراب، تلكم هي الحبيبة إلينا تشاد التي تعيش اللحظة وضعاً غير عادي.

■ ويتعجب المرء مرات أخرى حينما يجد بلاداً تخوض حرباً أهلية قضت على المعنويات قبل أن تقضي على الماديات، فتستمر ست عشرة سنة تكون فيها البلاد مهبطاً لكل المبادئ المستحدثة وميداناً للصراعات من أجل أهداف محدودة لا يراد فيها مصلحة البلاد ولا العباد. ولا يتذكر الناس فيها معنى للأمن إلا عندما تنتهي المحنة، ويخرج الناس إلى الشوارع يتنفسون عبق الحرية والانطلاق. تلكم هي الحبيبة إلى الكثيرين لبنان التي طرقت أبواب الاستقرار مع مطلع هذا العام الهجري ١٤١١هـ وبدأت تعيد ترتيب صفوفها، ولولا ما قامت به العراق لكانت إعادة ترتيب الصفوف أسرع مما هي عليه خاصة بعد سقوط ركيزة سلبية مدعومة من النظام في العراق.

■ ويتعجب المرء مرات كثيرة حينما يجد بلاداً تعد سلة خبز العرب يهددها متمرد من الجنوب يحمل لواء يختلف عن لواء البلاد، وينطلق من مبادئ مضادة لمبادئ البلاد. ويقلقها ويجعلها في اضطراب مستمر، تختلط فيه عليها الأوليات، فتقع في مآزق يصعب التخلص منها فيما بعد. تلكم هي السودان الحبيبة التي تمرد عليها العقيد «جون قرنق»، الذي قال من قبل إن السودان هي بوابة المسلمين إلى إفريقيا وعليه أن يغلق الأبواب أمام الزحف العربي الإسلامي. وهذا ما يعمل عليه الدكتور العقيد

حينما يتحالف مع قوى التنصير في الانطلاق إلى إفريقيا محققاً بهذا توصية المستكشف الجغرافي «ليفنجستون» الذي دعا في القرن الميلادي الماضي، حينما كتب في جريدة «الغادريان» اللندنية دعوة عاجلة لوقف الزحف الإسلامي إلى إفريقيا، حينما تبين له أن الحاكم «بوتيسا» في أوغندة قد اعتنق هو وقومه الإسلام دفعة واحدة.

الجاليات.. في مواجهة الأزمة..!!

منذ أن اجتيحت الكويت من العراق في شهر محرم الحرام ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م والمسلمون في حالة عجيبة من التأثر الذي لم ير له مثيل في تاريخ المسلمين الحديث. إن المرء عندما يقول هذا لا يبالغ مأخوذاً بالعاطفة بحيث ينسى قضية المسلمين الأولى في فلسطين المحتلة، وهذا أمر مرٌّ، مرارته مغروسة في ذهن كل مسلم. ولكن الأكثر منه مرارة أن يحتل مسلم بلداً مسلماً آخر، بما بين البلدين من علاقات تخطت الدبلوماسية والتمثيل.

وقد عاش المسلمون فترات من الاستعمار العسكري، وكانت تلكم الفترات أيضاً مرة في الأذهان، إلا أن هناك ما يهوِّن من مرارتها لدرجة لا تعني بحال قبولها؛ إذ إنها أتت من عدو أعلن عداءه، ومن غريب واضح الغربة، ومن مستغل واضح الأهداف. ومن هنا كان احتلال العراق للكويت أكثر مرارة من أي احتلال حلَّ في بلاد المسلمين.

ومنذ الاحتلال في محرم الحرام والحرب معلنة. اقتصرت حتى الآن في عسكريتها على أرض الكويت، وشملت في إعلامها العالم كله. وهي لا تزال حرباً عسكرية وإعلامية غير متكافئة على أية حال، وكأنها حرب من طرف واحد فقط هو هنا العراق. مع عدم إغفال الجهود الأخرى في هذه الحرب، ولكنها بحق جهود لم تصل في الإقناع، والإقناع الباطل غالباً مثلما وصلت الجهود الإعلامية في العراق.

وقد وقعت مجموعة غير يسيرة من الجاليات الإسلامية المهتمة والمتابعة ضحية لهذه الحرب الإعلامية، حينما وجدت من الإعلام الغربي بخاصة

دعماً للجهـود الإعلامية العـراقية، غطت جوانب لـم تكن لتغطيهـا الجهود العراقية. هذه التغطية الغربية لم تكن وليدة الأزمة، بل لقد تعوّدنا على هذه الجهود منذ فترة غير يسيرة. وظهرت فيهـا دراسات علمية جادة، أذكر منها الدراسة التي قام بها الزميل الدكتور عبد القادر طاش، حول الصورة العربية في الإعلام الغربي وجهـود بعض العرب الأمريكيين الذين تحـدثوا عن هذه الصورة السيئة عن العرب في هوليوود وفي الإعلام عموماً.

والمؤلم هنا أن تصـدق هذه الحملات الإعلاميـة من العراق، وأن يكون الحكم فيها هو العاطفة والاندفاع، حينما استغل الإعلام الحالة الاقتصادية التي تعيشها منطقة الخليج العـربية فأظهر العراق نبـرة توزيع الثروة، وغفل كثير من المسلمين أن الأولى أن أول من يبدأ في تطبيق هذه النبرة هو العراق نفسه.

ثم استغل العراق إعـلاميًا وجود القـوات الأجنبية في المنطقة فأثـار ثائرة البعيدين قبل القـريبين واستخدم الطـريقة الخبيثة في «المونتـاج» ليشعر الناس ــ والمسلمين منهم بخاصة ــ أن هذه القوات الأجنبيـة تعيث فساداً في المشـاعـر المقـدسة. وقـد رافقت إحـدى الشخصيـات التي حـاولت الإسهام فـي إيجاد حل لهـذه الأزمة من جـدة إلى مكة المكـرمة، وعنـدما وصل إلى الحد الذي لا يسمح بعده بدخول غير المسلمين، فيطلب منهم المـرور بعيـداً عن الحـرم إذا كـانـوا متجهيـن إلى الطـائف أو عـائدين من الطائف إلى جدة، عندما وصل إلى هذه النقطـة أشرت إليها وأخبرته عنها، فسألني سـؤالاً ما كنت أحسب أنـه يصـدر عنه، إذ قـال لي: متى وضعت هذه العـلامات؟ وكان سـؤاله يوحي لي بأنـه فهم أنها إنما وضعت عنـدما وصلت القوات الأجنبية في أقصى الشمال الشرقي من البلاد.

وعلينا أن ندرك هنـا أن الحرب الإعلامية استطاعـت التأثير على عواطف النـاس، وخصوصـا في هذا المـوضوع، ممـا أدى إلى ردود فعل سريعـة، كانت تفتقـر إلى صدق المعلـومة والتـروي في الحكم، إذ عندمـا صدقت المعلـومات، وتثبـت الناس أدركـوا الشـرك الذي وقعـوا فيـه فـوجدنـا الآن مجموعات غير يسيرة من المسلمين تعـدِّل في موقفها، وكأنها صحت من غفـوة عاطفيـة أبـانت عن مـدى الفقه في الـدين لـدى بعض المسلمين، وأظهرت أشياء على السطح لم تكن واضحة من قبل.

وأحسب أن الجاليات الإسـلامية في أوروبا وأمريكا بخاصـة بحاجة إلى مـزيـد من إيضـاح الأمـر بـالصـوت والصـورة والـوثـائق التي تصحح أولاً المفهومات، ثم التي تبين ثانياً ما عليه الحكم في العراق من نهج بعيد عن الإسلام، ومن ثم بعيـد عن الادعاءات التي استغلها الإعـلام في العراق في هذه الأزمة وأثر بها على مجمـوعة غير يسيرة من المسلمين. ولا حجة لمن يقول إن الحق أبلج، فالحق حقًّا أبلج، ولكن الأوراق مختلطة وتحتاج إلى إعادة ترتيب. وكان الله في عون الجميع.

عندما تنتصر الكويت

بعد محنة دامت ستة عشر يوماً كأنها كانت لدى البعض ستة عشر عاماً، تنفرج الغمة ويخرج الرهائن الواحد والثلاثون سالمين بفضل من الله تعالى، ثم بفضل الموقف الصارم الحازم الذي وقفته حكومة الكويت ووقفه الشعب الكويتي. ذلكم الموقف الذي رفض الاستسلام لمجموعة من المضللين جعلوا من أرواح الأبرياء وسيلة للوصول إلى مزيد من الاستهتار في إرادة الحكومة والأمة في الكويت. والحق أن حجز الجابرية لم يقتصر على الطائرة وركابها ولكنه كان حجزاً للكويت وللعرب وللمسلمين في آن واحد. لقد توجهت الأسماع إلى إذاعة الكويت وهي تقدم مشاعر المواطنين هناك حول هذه الحادثة. ولم تختلف مشاعر المواطن في الكويت عن مشاعر المواطن العربي. لقد تردد كثيراً ولا يزال يتردد الإعجاب الشديد بموقف الحكومة الكويتية، رغم كثرة الدعوات العاطفية التي ترى أنه لا بأس من الاستسلام للخاطفين، ـ ولو لمرة واحدة ـ في سبيل إنقاذ من بقي من الرهائن، وخصوصا أن الخاطفين قد برهنوا في الأيام الأولى عن أنهم ماضون في ترويع الراكبين والراجلين في كل مكان.

كان ضحية هذا المضي في الإرهاب مواطنين كويتيين، مورست معهما الأساليب غير الإنسانية حتى قضي عليهما.

أما ما يتبع إطلاق سراح الرهائن، وما يتبع انتصار الكويت ــ انتصار الحق والسيادة ــ من البحث في مصير الخاطفين فهذا أمر أيضاً لا يخضع للعاطفة وإنما تحكمه المواثيق والمعاهدات التي يصعب على أية دولة

نقضها، لا لأنها ستحاكم دوليًّا لأنهـا نقضت هذه المعاهدات والمواثيق، ولكن لأنها ستتيح الفرصة لمزيد مـن الإرهاب الذي سيأخذ شكل الجريمة المنظمة ضـد كل ما هـو إنساني، وقد تقع تلك الـدولة في المحنـة نفسها التي وقعت فيها دولة قبلها.

وإسرائيل تنقض المعاهدات في الأرض المحتلة؛ لأنها دولة قامت على العدوان ودعم الإرهاب بشتى صوره البشعـة، كما أنها في الأرض المحتلة - أي إسرائيل - إنما قامت من حيث المنشأ على نقض المعاهدات، بل على عـدم الاعتراف بهـا ما دامت تتعـارض مع المصـالح الصهيونيـة، ليس في المنطقة فحسـب، ولكن في العالم كلـه. وقد يتـردد في الشارع الرغبـة في عـدم نجاة الخـاطفين، ولكنـه كلام يظل نظـريًّا؛ لأنـه ببسـاطة بعيـد عن الساحة التي يحس أصحابها بهول الفاجعة في حينها.

ومع هذا كلـه فإن الرأي العام يـؤكد عـدم التهاون مع هذه النـوعيات من البشـر، وأن الحزم مع مثـل هؤلاء سيـردع غيـرهم من أمثـالها حين يفكـرون مئـات المـرات قبل أن يقـدمـوا على مثل هـذا الفعل الإجـرامي في حق الآمنين. ومع الأسف أن تتبنى هذا الإرهاب حكومات شجعت عليه وزودته بما يحتاج إليه من خبرات وآلات وأجهـزة. إنها مصيبة كبرى تحتاج إلى أن يقف الـرأي العام مـوقفـاً واضحاً تجـاه مثل هـذه الحكـومات. وإنـه لمن المؤسف جدًّا وضـوح تزويد الجابرية بالأشخـاص والعتاد على أرض إيران الخميني، وقبل أن تقلع إلى قبـرص. ومثل هذا التصـرف لا يخدم أهـدافاً تعود على الحكومـة المجهزة، وإنما هو خدم هدفـاً تسعى إليه إسرائيل في الأرض المحتلـة، حينمـا استطاعت أن تـوجـه الأنظـار عن حركـة شبـاب الحجـارة في الضفـة والقطـاع، وحينمـا استطــاعت أن تنفي من الأراضي

المحتلة مزيداً من أبنائها، وحينما حاولت تطويق «الانتفاضة» بسياج من العزلة، وحينما وجدتها فرصة لتقضي على أحد رجال فتح البارزين. فالمستفيد من خطف الجابرية هم اليهود، فهل يشك المرء في أن وراء عملية الجابرية أيادِ يهودية بلباس مختلف، وهناك أكثر من دليل قاطع يعين على إثبات وجود هذه الأيادي، ولأنها وراء كل عمل مشين يتهدد أمن العالم ويجد في مثل حكومة طهران خير عون له، فالقوم هناك يؤمنون بأن الغاية تبرر الوسيلة ويُتبعون هذا الإيمان بالعمل.

إن من يعرف اليهود من خلال تاريخهم وممارستهم مع حكومات غربية سيطروا عليها فأصبحوا فيها يسيرون دفة السياسة في صالحهم يعرف أن الصهاينة أمة تؤمن «باستعباد» الآخرين. وليس هذا الإيمان ماضياً قد زال، ولكنه حاضر يتجدد يرضعونه مع حليب أمهاتهم وهم صغار، ويتلقونه وهم في «الكيبوتات» يتدربون على مواجهة الزمن والتعامل مع الآخرين «الأمميين» عبيد اليهود كما يعتقدون ظلماً وبهتاناً، فإذا كان اختطاف الجابرية سوف يخدم أهدافهم فلتختطف الجابرية في تقديراتهم، وليكن من يختطفها ممن يطلبون طعام الإفطار مع حلول شهر رمضان المبارك حتى يقال إن الخاطفين مسلمون، وإن هذا هو الإسلام الذي تتحدثون عنه. فلا يستفيد اليهود من هذا الحادث فوائد آنية، ولكنهم ينقلون للآخرين الانطباعة أن أمة هكذا تربي أبناءها تستحق الاحتلال والتضييق. بل ربما كانت بحاجة إلى عودة الاستعمار إليها حتى «يربيها» ويخرجها من رغبتها في الإرهاب. هكذا يريدون أن يصوروا للآخرين. ولعل من المؤسف حقًّا أن يتهيأ لهم أشخاص منحرفون يعينونهم على نقل هذه الانطباعة إلى الآخرين الذين لا يزالون يجهلون الوضع تماماً، ولا يزالون يعيشون تحت سيطرة الإعلام الصهيوني.

ومن هنا يتضح أن الكويت انتصرت على كل شيء في هذه الحادثة، وانتصارها هنا هزيمة لأولئك الذين سعوا إلى هزيمتها، ولكن حيل بينهم وبين ذلك، وستنتصر الكويت وغير الكويت كلما أصرت على مبادئها التي تؤمن بها وتتبناها. ولن تزعزعها الحوادث العارضة التي تلعب بأعصاب البشر، وتسيء إلى كرامتهم وإنسانيتهم وتكدر عليهم صفو الحياة. وعلينا أن ندرك أن الأمور لا تسير دائماً كما يرسم لها من قبل هؤلاء المارقين.

ونحن نصر بتوفيق من الله على إعمال العقول في أوجه الخير والبناء، وأولئك يصرون على إعمالها في الأوجه المعاكسة. وما تلكم إلا حلقة واحدة من حلقات الصراع بين الخير والشر، ولم ينتصر الشر، ولن ينتصر على الخير، ولو بدا في المواقف أنه كذلك، إلا أن الباقيات الصالحات دائماً خير. فهنيئاً للكويت ــ حكومة وشعباً ــ بهذا الانتصار على الباطل وهنيئاً لنا جميعاً بذلك ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾، وكان الله في عوننا جميعاً.

الفهرس

ردمك ٩٩٦٠-٢٠-٠٢٥-٦